

# السلوك الأساسية

فيما يجب على أبناء الأمة الإسلامية

وخاصة طلاب الدورات الصيفية

جمع وترتيب

محمد بن علي بن محمد باعظية الدوعني

## تكملة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الخلق لحكم جمّة، أوضح لهم السبل، ودلهم على أقوم الطرق، وأوضح لهم المحجة، لينهجوا سبل أهل المودة والمحبة، المعنيين بقوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنار لعباده الصالحين طريق أهل السعادة، وحذرهم من سلوك طريق أهل الغواية، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير دال على طريق الحق والسداد، اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أهل النقي والرشاد، وعلى تابعيهم ومن يتبعهم بإحسان أبد الآبدين. وبعد:

فإن كلمة السلوك معناها: الطريق التي يسير عليها المؤمن والنهج الذي ينهجه، في ليله ونهاره وسائر أوقاته وساعاته، ويتنوع هذا السير بنوع المسار إليه، ويختلف هذا السلوك من فرد لآخر ومن جماعة لأخرى، ومن مجتمع لغيره. وإن سلوك الفرد المؤمن الذي هو النواة لجماعة المسلمين والأمة بأسرها، يجب أن يضبط بضوابط وأن يتربى عليه الناشئ المسلم منذ نعومة أظفاره وفهمه للخطاب، حتى ينغرس ذلك السلوك في نفسه ويتربى عليه ويألفه، ويأنف - فيما بعد - أن يحيد عنه، أو أن ينصرف منه لغيره إذ أصبح من مقومات يومه وليلته وأوقاته وساعاته، لذلك أحببت أن أضع نقاطاً لسلوك الناشئ المسلم، تتضمن ساعات ليله ونهاره، وتلائم سنه وتفكيره، إذ هي لكل من بلغ سن الثالثة عشر إلى الخامسة عشر، يتدرب عليها عملياً، وتنغرس في نفسه علمياً

وأخلاقياً، حتى إذا بلغ سن الرشد عرف أنها من أوجب الواجبات عليه، ومن ثمّ.. طلب من هذه السلوكيات ما هو أكثر، لأنه سيعرف أنها السبيل الموصل إلى الله تعالى، وعندئذ فإنه سيسارع إلى المطالعة في الكتب المعنية بذلك، وسيسعى للاتصال بالرجال المُسلِّكين المربين الموصولين، الذين صفت سرائرهم ونقت ضمائرهم وتهذبت نفوسهم، وظهرت عليهم أنوار السير والسلوك، ومن هنا يتكون الناشئ المسلم، الصالح في نفسه المصلح لأمره، وبه يتكون المجتمع الخيّر، وتحصل الخيرية المعنية في قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..).

ومن أجل ذلك.. وضعت بعض السلوكيات التي ينبغي أن يراعيها الناشئ في حياته، ويجب أن يطبقها في ساعاته، وهي على سبيل الإجمال:

أولاً:- السلوك الإيمانية:

- 1- سلوك المؤمن مع الله.
- 2- سلوكه مع نبيه.
- 3- سلوكه مع كتاب ربه.
- 4- سلوكه مع أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.
- 5- سلوكه مع علماء أمته عليه الصلاة والسلام.
- 6- سلوكه مع مشايخه ومعلميه.
- 7- سلوكه مع الأقارب:  
أ - مع والديه.  
ب - مع إخوانه وأخواته.  
ج - مع أرحامه.
- 8- سلوكه مع إخوانه المسلمين.

9- سلوكه مع غير المسلمين.

ثانياً:- سلوكه مع جوارحه وقلبه.

ثالثاً:- سلوكه مع عمود الإسلام وهو الصلاة.

رابعاً:- السلوك الاجتماعي:

وهي مجموعة آداب يجب أن يتخلق بها المؤمن السوي.

وسميته: (السلوك الأساسية فيما يجب على أبناء الأمة الإسلامية وخاصة طلاب الدورات الصيفية) وهذا أوان الشروع في المقصود، مستمداً العون والتوفيق من الملك المعبود، فإنه لا عون إلا منه ولا موفق إلا إياه، فهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

**أولاً:- السلوك الإيمانية:**

**1 - السلوك مع الله:**

ومعنى ذلك: هو كيفية سير المؤمن الصالح التقي، الورع النقي سليم القلب، القريب من الله تعالى البعيد من الشيطان، في لحظات عمره مع الله تعالى.

وقبل ذلك عليه أن يعلم ويعتقد أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته، قديم لا ابتداء لوجوده، باق لا انتهاء لوجوده، متصف بكل كمال، منزّه عن كل نقص وما خطر بالبال، وأنه غني عما سواه، مفتقر إليه كل ما عداه، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولا يماثله في ذاته وصفاته وأفعاله أحد، فليست ذاته جرماً ولا

صفاته أعراضاً ولا أفعاله بمحاولة ومزاولة، ولا تحصره الأمكنة والجهات، ولا تمر عليه الأزمنة، بل كان تعالى ولا زمان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، وكل ما يخطر ببال المخلوقين فالله خلفه ومنزه عنه، ولا سبيل لخلقه إلى معرفة حقيقة ذاته وصفاته إلا بالعجز عن معرفته.. كما قال ذلك الصديق رضي الله عنه، وقال أيضاً: العجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث عن سرّ ذات الله إشراك.

وشرح الجملة المتقدمة.. لكي يتمكن اعتقاد الناشئ في مولاه تعالى، وما يجب عليه من نفي صفات النقص عنه تعالى، حتى تتأصل وتتجذر في نفسه بأنه لا يشابه أحداً ولا يشابهه أحد، فهو القوة المسيطرة في الكون وما فيه، المفتقر إليه كل شيء، الغني عن كل شيء، القهار لكل شيء، الخاضع له الكون بأسره، من قامت به الأشياء، إذ لولاه لما كان الوجود، سبحانه وتعالى المنزه عن النقائص التي هي من شأن الحوادث، لذلك فالتنزيه أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وبه يحصل العجز الكامل أمام الخالق الباري، وإليك بيان ذلك من (الحديقة الأنيقة) للشيخ العلامة الإمام محمد بن عمر بحرق حيث قال: [والمراد من تنزيهه سبحانه عن الكيف: أنه منزه عن الحركة والسكون والانتقال والنزول، والألوان من السواد والبياض وغيرهما، والطعوم من الحلاوة والحموضة وغيرهما، فيجب تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن جميع ذلك، لأن ذلك كله من توابع صفات الأجسام والتركيب، ولو ازم المزاج والتركيب، والجسمية مستحيلة في حقه.

والمراد من تنزيهه تعالى عن الزمان: أنه ليس لوجوده ابتداء، ولا لبقائه انتهاء، بل هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، لأن الزمان حادث، أحدثه هو سبحانه وتعالى بقدرته، لأنه

عبارة عن تعاقب الليل والنهار، وهما مرتبان على وجود الشمس والسموات والأرض وهي حادثة، وما ترتب على الحادث فهو حادث، وإذا ثبت أنه القديم قبل كل شيء وجب استمرار بقائه، إذ ليس معه تعالى ضد يقهره فيعدمه بل هو الواحد القهار.

والمراد من تنزيهه تعالى عن المكان: أنه غير مستقر بموضع من علو أو سفلى، لأن التمكن بالمكان من خواص الأجسام، وهو تعالى منزّه عن الجسمية ولوازمها، ولأن المكان كله محدث من عرش وفرش، أحدثه الله سبحانه بعد العدم، وقد كان تعالى قبل خلق المكان غنياً عن المكان، فيكون الآن كما كان. وإذا استحال تمكنه بمكان استحال أيضاً اختصاصه بجهة، لأن الجهات أطراف الأمكنة من يمين وشمال وقدام ووراء، واستحال أيضاً أن يكون تعالى مقدرًا أو محدودًا - تعالى الله عن ذلك - فعند ذلك تعلم قطعاً أن ظواهر الأدلة الموهمة التمكن بمكان أو الاختصاص بجهة، أو النزول أو المجيء أو الانتقال أو نحو ذلك، غير مراد بها ظاهرها، المتبادر إلى الفهم بحسب العرف، بل هو محمول على ما يليق به سبحانه، فنحو رفع الأيدي في الدعاء لا يلزم منه أنه تعالى في السماء، كما لا يلزم من التوجه إلى الكعبة كونه تعالى فيها، بل أمرنا بجميع ذلك فوجب علينا الامتثال، والدعاء قبلته السماء، والصلاة قبلتها الكعبة، فأينما تولوا فثم وجه الله.

وكذلك الفوقية في قوله تعالى: (وهو القاهر فوق عباده) محمولة على فوقية الرتبة التي تكون للسيد القاهر على العبد المقهور، كما قال تعالى عن فرعون: (إنا فوقهم قاهرون) وكما يقال: رتبة الوزير فوق رتبة الأمير. وكذلك ما يفهم من قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) غير مراد، بل هو استواء لائق بجلال الله تعالى، كما يقال: استوى الأمير على العراق أي

استولى عليه؛ فاستقلت فيه ولايته وزال اضطرابها، ودان له أهلها بالطاعة والانقياد.

ومعلوم أن العرش أعظم المخلوقات، بل حاو لها ومحيط بجميعها، والتمدح بكونه مقهوراً بالطاعة تحت قدرته تعالى يدبر أمره فيه كيف يشاء، هو اللائق بجلال الله تعالى، بخلاف الاستواء الذي هو الجلوس على الشيء، فذلك من صفات الأجسام ولا تمدح فيه، لأن كل جسم يمكن منه ذلك، والتمدح إنما يكون بصفة يختص بها المتمدح ويمتاز بها على من سواه، هذا والعرش حادث بعد العدم، وقد كان تعالى غنياً عنه في القدم. وكذلك يجب حمل مثل ذلك على ما يليق بجلال الله تعالى، كأن يقال في: (وجاء ربك)، (وينزل ربنا) أي أمره أو رحمته أو نحو ذلك. ولا ينبغي أن يسبق الفهم إلى ظاهره كما لا ينبغي عند قولنا: الكعبة بيت الله أن يتوهم أنه ساكن فيها.

والمراد من تنزيهه تعالى عن كل ما يتصور في البال: أن كل ما صوره الوهم والخيال فهو تعالى بخلافه، لأنه ليس كمثلته شيء، والوهم إنما يصور صورة يقيسها على ما يعهده. والمراد من تنزيهه تعالى عن الشبيه: أنه ليس تشبه ذاته ذاتاً ولا صفة صفة ولا فعله فعلاً، إذ لو مائله شيء لاتصف بمثل صفاته من العلم المحيط والقدرة النافذة وغير ذلك، وهو من المحال، وكون العبد يسمى حياً قادراً عالماً ونحو ذلك.. فتلك مشاركة في مجرد الاسم فقط، وإلا فمعلوم أن حياة الباري تعالى أزلية أبدية، وعلمه محيط بما كان وما يكون، وقدرته نافذة في كل شيء، والعبد حياته من عدم إلى عدم، وعلمه مكتسب مسبوق بالجهل مقرون به، فإذا انتهى في العلم فما جهله من الغيب أكثر مما علمه، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً).. وهكذا في سائر الصفات. وكذلك في

أفعال العباد إنما تكون بالجوارح والآلات، والبارئ سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك، (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون).

والمراد من تنزيهه تعالى عن الشريك: أنه المنفرد سبحانه بالخلق والإيجاد، والأمر والتصرف في الملك والملكوت، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)، (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً. لقد أحصاهم وعدهم عدداً)، (لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير).

والمراد من تنزيهه تعالى عن الوالد والولد: أنه لم يُحْدِثْهُ غيره، ولا انفصل من ذاته المقدسة غيره، بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وكذلك تنزيهه تعالى عن صاحبة ظاهر، لأن ذلك من نتائج طبائع المخلوق المتضمنة لميل الشهوة، وذلك مما يتقدس عنه البارئ تعالى، (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً).

وأما المراد من تنزيهه تعالى عن الجسم والجوهر والعرض، فاعلم أولاً أن الجوهر في اصطلاح العلماء: كل جزء لطيف جداً لا يمكن أن يتجزأ أصلاً، والجسم ما تتركب من جوهرين فأكثر، والعرض من صفات الجواهر والأجسام: من الطول والقصر والصغر والكبر، والحركة والسكون والسواد والبياض وغير ذلك. فجميع المخلوقات لا تخلو من كونها إما جوهرًا أو جسمًا أو عرضاً، وكل ذلك محدث، والبارئ تعالى ليس شيئاً من ذلك.



والمراد من تنزيهه تعالى عن كل نقص مطلقاً: أن الإلهية لا تكون لمن يتطرق إليه النقص، بل هو لمن هو منزه عن كل نقص جامع لكل كمال، وذلك هو الله الذي لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وله الحمد في الآخرة والأولى] اهـ.

وإذا عرفت ذلك واعتقدته تأسس عندك التوحيد، الذي سئل عنه الجنيد رحمه الله تعالى فقال: [أن ترى أن جميع حركات العباد وسكناتهم فعل الله، فإذا عرفت ذلك فقد وحدته] ورحم الله الشواف حيث يقول: ما أحد يحرك باعه، في معصية أو طاعة، إلا أن يحركها الله.

فإذا تأملت ذلك وتجذر في قلبك نتج عندئذ في قلبك الخوف من الله، وصاحبتك الخشية من جلال مولاك، وصاحبتك التقوى وهي: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، وسأقتك إلى دوام المراقبة مع الله تعالى، حتى تُحَقِّقَ بالإحسان الكامل، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فلزم عند ذلك سلوكك مع الله تعالى بالمشاهدة أو الشهود، وكان الباعث والمتحصل كمال الحياء الذي هو أساس السير إلى الله تعالى، والسلوك معه في الخلوة والجلوة والظاهر والباطن، وهو الذي عناه عليه الصلاة والسلام بقوله: "استحيوا من الله حق الحياء" قالوا: إنا نستحي يا نبي الله والحمد لله فقال: "ليس كذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"، وتَحَصَّلَ من ذلك كله أن السلوك مع الله هو القيام بالطاعة مع كمال المراقبة، والبعد عن المعصية مع دوام الخشية والإنابة، ودوام الفكر في الله حتى لا تكون غفلة، فمن تحقق بذلك

كامل إيمانه، وصح سيره وسلوكه، وتحقق قربته من مولاه مع كمال أهليته، ودخل (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً).

## 2- سلوكه مع نبيه عليه الصلاة والسلام:

وقبل أن نبين كيفية سلوك الناشئ مع نبيه عليه الصلاة والسلام، فلا بد عليه أن يعلم ويعتقد أن نبيه ورسوله هو محمد بن عبد الله، أرسله الله تعالى إلى الناس كافةً كما قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً)، (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)، وبه ختم الله الرسالات والنبوات، فلا رسول ولا نبي بعده، وشريعته عليه الصلاة والسلام ناسخةٌ لجميع الشرائع والأحكام، ودينه صلى الله عليه وآله وسلم ناسخٌ لجميع الأديان، فلا يصح دين غيره، ولن يقبل الله تعالى ديناً سواه، كما دل عليه قوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) وقوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

ويجب عليه أن يعتقد أنه عليه الصلاة والسلام له صفات واجبة كما في حق الرسل وهي: الأمانة والصدق والتبليغ والفظانة، وأنه يستحيل عليه ضد هذه الصفات وهي: الخيانة والكذب والكتمان والبلادة. وأنه عليه الصلاة والسلام معصوم من الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها، كما في سائر الأنبياء.

وعليه أيضاً أن يعتقد أنه عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق على الإطلاق، ويليه سيدنا إبراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح عليهم السلام وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، ثم بقية الرسل، ثم بقية الأنبياء غير الرسل وهم متفاوتون في الأفضلية فيما بينهم عند الله تعالى، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل، ثم بقية رؤساء الملائكة كرضوان ومالك وحملة العرش، ثم صلحاء هذه الأمة كالصحابية والتابعين والشهداء، ثم عوام الملائكة وهم غير رؤسائهم.

ويجب عليه أن يعتقد أنه عليه الصلاة والسلام عربي قرشي أبيض مشرب بحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأهداهم إلى الحق طرقاتاً.

وأنه مؤيد بالمعجزات، وهي جمع معجزة وهي: الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة المتحدى به قبل وقوعه ويعجز عن الإتيان بمثله.

ومعجزاته عليه الصلاة والسلام كثيرة، منها: الإخبار بالمغيبات كموت النجاشي وصلاته عليه قبل وصول خبر موته، ونبع ماء من بين أصابعه الشريفة عليه الصلاة والسلام وإرواء الجيش منه، وانشقاق القمر.. وغير ذلك مما لا يحصى، والتي من أعظمها القرآن الكريم الذي عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله ثلاث آيات منه، وهو معجزته الخالدة التالدة إلى يوم رفعه.

ويجب اعتقاد أنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد بمكة المشرفة، ثم هاجر منها إلى المدينة المنورة، وعمره إذ ذاك ثلاث

وخمسون سنة، واستصحب معه أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ولما كمل له صلى الله عليه وآله وسلم من العمر ثلاث وستون سنة توفي بها، ودفن بها أيضاً في حجرة السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها وعن بقية أمهات المؤمنين.

ويجب أيضاً اعتقاد أنه أسري به يقظة جسماً وروحاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ليلاً، ثم عرج به إلى السماوات، فزاد بذلك على من سواه شرفاً وفضلاً.

ويجب أيضاً أن يعرف نسبه الشريف من جهة أبيه وأمه، فأما نسبه من جهة أبيه فهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأما نسبه صلى الله عليه وآله وسلم من جهة أمه فهو سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ثم بقية النسب كما في أبيه لأن نسب أبيه وأمه يجتمعان في جده كلاب.

وكذلك ينبغي معرفة أولاده صلى الله عليه وآله وسلم وهم سبعة: ثلاثة ذكور وأربع إناث، وترتيبهم في الولادة: القاسم وهو أول أولاده صلى الله عليه وآله وسلم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله وهو الملقب بالطاهر والطيب ثم إبراهيم رضي الله عنهم، وكلهم من سيدتنا خديجة رضي الله عنها إلا سيدنا إبراهيم عليه السلام فمن مارية القبطية.

ومما ينبغي معرفته زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم لأنهن أمهات المؤمنين وهن إحدى عشرة: السيدة خديجة بنت خويلد

وعائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم سلمة بنت أبي أمية وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وجويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي وقيل: ريحانة بنت شمعون وقيل: بنت يزيد من سبي بني قريظة فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتزوجها ودخل بها وقيل إنها من سراريه فكانت موطوءة له بملك اليمين صلى الله عليه وآله وسلم وعليهن أجمعين، ولم يمت في حياته صلى الله عليه وآله وسلم منهن إلا ثلاث: خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة وريحانة، وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم عن التسع الباقيات رضي الله عنهن أجمعين.

وينبغي معرفة عميه وعمته أما عماه فهما حمزة بن عبد المطلب والعباس بن عبد المطلب وأما عمته فهي صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهم أجمعين.

وينبغي معرفة سبطيه أيضاً وهما: الحسنان الأحسان أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين سيدي شباب أهل الجنة وابنا البتول الزهراء فاطمة رضي الله عنها وعنهما.

وإذا عرفت الواجب عليك تجاه نبيك فإن السلوك اللازم عليك معه عليه الصلاة والسلام، والذي يقودك إلى الخير، ويقربك إلى الله تعالى، ويدخلك مداخل السلف الصالحين، هو محبته صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من نفسك وأمك وأبيك وولدك والناس أجمعين وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين.."، فهي فائدة السلوك، فإن الإنسان لا يكون سالكاً منهجاً إلا إذا أحب

صاحب ذلك المنهج، ولننظر قوله عليه الصلاة والسلام لذلك القائل: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: "ما أعددت لها"؟ فقال: ما أعددت لها كثير صيام ولا صلاة ولا زكاة ولكني أحب الله ورسوله فقال: "أنت مع من أحببت"، فمحبته صلى الله عليه وآله وسلم هي الغاية والوسيلة في سير المحب على الطريق السوي، وقد أمر بها عليه الصلاة والسلام في قوله: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي".

وينتج عن محبته بعد ذلك المتابعة له صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً، وفي جميع الأحوال من معاده ومعاشه، فإنه عندئذ يكون القدوة والأسوة الكاملة للناشئ إذا غرست محبته عليه الصلاة والسلام في نفسه، ويتحقق بقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)، وعندها فهو يسير على سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، لا ينفك عنها لأنه يتحقق بقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

والحاصل أن الناشئ عليه أن يتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يحيد عنها، قولية كانت أو فعلية أو تقريرية، لأنه عليه الصلاة والسلام قال: "تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي"، فلا يعدل الناشئ المؤمن عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبداً، ولا يتمسك بغيرها ولا يبدلها، ولا يؤول النصوص الظاهرة في الأحكام إلى غيرها، ولا يعدل بالسنة أمراً آخر مهما رأى فيه من فضيلة، لأن الخير في الاتباع.. رأى سعيد بن المسيب رحمه الله رجلاً يصلي في غير أوان الصلاة - أي في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها -

فنهاه عنها وقال: يعذبك الله إن لم تنته فقال له: أيعذبني الله على الصلاة والعبادة؟! فقال: لا، ولكن يعذبك على مخالفتك للسنة.

وسمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رجلاً عطس فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله فقال له: وأنا أيضاً أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله ولكن ليس ذلك من السنة في هذا الموطن، قل: الحمد لله، فنقول لك: يرحمك الله.

والسنة اللازمة: الاتباع في كل شيء، ووضع كل شيء في موضعه منها من غير تبديل ولا تحريف، وقد علمت أنه من السلوك بمكان أن لا ينفك الحب عن المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، فإن من أحبه تمسك بهديه، فالعمل ثمرة المحبة، فلا محبة بلا عمل ولا عمل بلا محبة، إلا أنه عمل بالمستطاع إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ومعنى العمل: الانضباط بضوابط أوامره عليه السلام ونواهيته، وليس منه بحال قول القائل: إن المحبة هي الاتباع، حيث جردوا العمل عن المحبة فلا ينفع عمل بلا محبة.

ويدل على ذلك حديث ذي الخويصرة، وهو الرجل الذي قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُقسّم مالاً بين أصحابه أتى من البحرين فقال له: اعدل يا محمد، وفي رواية: اتق الله، فردّ عليه النبي في الأولى: "ويحك يا رجل إن لم أعدل فمن يعدل!" وفي الأخرى: "إن لم أتق الله فمن يتقي الله" وقد احمر وجهه عليه الصلاة والسلام.

وكان من وصف ذلك الرجل أنه كث اللحية، مشمر الإزار - اتباع في المظهر -، غائر العينين، شديد السهر في العبادة، ناتئ الوجنتين - أي أنه يصوم الهواجر وما به من الضعف بسبب الجوع الناتج عن الصيام - يسمع له دوي كدوي النحل - إما لتلاوته للقرآن أو ذكره - وهذا اتباع عمل في العبادة - ثم ولّى.. أي هذا الرجل المتبع الفارغ قلبه من محبة المصطفى عليه الصلاة والسلام، إذ لو كان محباً لما صدر منه مثل ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "سيكون لهذا أصحاب تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".

فمن هنا يظهر أن السلوك معه عليه الصلاة والسلام: تعظيمه وتوقيره ومحبته واتباع هديه عليه الصلاة والسلام. ومن تعظيمه ومحبته صلى الله عليه وآله وسلم تعظيم ومحبة أهل بيته.

وأهل بيته هم الذين جاء ذكرهم في الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وهم: سيدنا علي وسيدتنا فاطمة الزهراء وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم ونسلهما إلى يوم القيامة. اهـ الدرّة اليتيمة.

### واجب المكلف تجاه أهل البيت:

والذي يجب على المكلف في سلوكه مع أهل البيت: أن يؤمن أولاً بوجود أهل البيت، وأنهم باقون إلى يوم القيامة، وأن بقاءهم آمن وأمان لأهل الأرض على الإطلاق.

والدليل على بقائهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا



بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي آل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما" وهو عند مسلم وغيره برواية متقاربة وطرقه كثيرة جداً. وأما كونهم أمان لأهل الأرض على الإطلاق فقد قال عليه الصلاة والسلام: "النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي من الخلاف فإذا ذهب النجوم ذهب السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب الأرض".

ومن هنا يظهر أن المكلف يجب أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن أهل البيت موجودون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. حيث دل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" أي القرآن وأهل البيت. ويظهر أيضاً في الحديث أنهم ثقل الكفة الثانية الموازية والملازمة للكفة الأولى وهي القرآن، وأن أية مسألة يكون فيها اختلاف فما مال إليه أهل البيت كان فيه الحق لأن من لازمته القرآن وكان هو ثقلاً حافظاً للأمة لا يتعداه الحق والصواب. ومما يظهر أيضاً خصوصية هذه الأمة على سائر الأمم حيث بقيت فيهم بضعة نبيهم ببقاء نسله إلى يوم القيامة.

ولو قال قائل: كيف يكونون نسله عليه الصلاة والسلام وهم ليسوا من صلبه بل من صلب علي رضي الله عنه؟! نقول قد أجاب على ذلك عليه الصلاة والسلام فقال: "إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب". أخرجه الطبراني في الكبير عن جابر، والخطيب عن ابن عباس.

وإنما ذكرت هذا لجهل كثير من الناس عن الثقل الثاني الذي تركه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو تجاهلهم به رغم أنهم الكثير الطيب الذين ملئوا مشارق الأرض ومغاربها، وحملوا فيها منارات الهدى وبددوا ظلماتها، وحملوا راية جدهم ودعوا إلى الله على هدى وبصيرة. وما هذه الكثرة إلا ببركة دعوة جدهم حيث قال عند زفاف الإمام علي والسيدة فاطمة: "اللهم أخرج منهما الكثير الطيب".

وإذا تقرر عندك أخي المكلف من هم أهل البيت وعرفتهم، فيجب عليك محبتهم واحترامهم وعدم إيذائهم فإنه لا إيمان لمن لا يحبهم ولا دين لمن يبغضهم. وأما دليل ذلك ما أخرجه ابن ماجة عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم. والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرايتي". وفي رواية: "لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ورسوله".

وفي وجوب محبتهم واحترامهم نزل قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى). قالوا يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال عليه الصلاة والسلام: "فاطمة وولداها"، وأخرج الإمام أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه "من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني"، وأخرج ابن عدي والديلمي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي"، والأحاديث في محبتهم ومودتهم كثيرة.

وأما الدليل على عدم إيذائهم وأن من آذاهم متوعد بالعقوبة، ما رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم"، وأخرج الطبراني وابن منده والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو يخطب على المنبر: "فما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا من آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله" وأخرج الديلمي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي"، وأخرج الملا في سيرته: "لا يحبنا إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي".

وأما وجوب إكرامهم، والتجاوز عن مسيئتهم، والتغاضي عن هفواتهم، واحتمال جهل جاهلهم إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمما ينبغي ويجب على المكلف الاعتناء به، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "... أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أيضاً: "... فانظروا كيف تخلفوني فيهما"، أي في القرآن وأهل البيت. ولذلك كان ديدن العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، لزوم محبة أهل البيت. وقد ذكر شيخنا العلامة عبد الرحمن الكاف في كتابه الجراب كلاماً لأهل العلم في هذا المضمار حيث قال: قال ابن الفارض رحمه الله:

ذهب العمرُ ضياعاً وانقضى      باطلاً إذ لم أفز منكم بشي  
غير ما أوليت من عقدٍ ولاء      عترة المبعوث حقاً من قصي

وقال محي الدين ابن العربي:

جعلت ولأبي آل أحمد قربةً  
على رغم أهل البعد يُورثني القربى  
وما طلب المختار أجراً على الهدى  
بتبليغه إلا المودة في القربى

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:  
آل النبي ذريعتي وهمو إليه وسيلتي  
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي

وقال أيضاً:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله  
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له

وقال رضي الله عنه:  
إذا في مجلس نذكرُ علياً وسبْطيه وفاطمة الرضيه  
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيه  
برئت إلى المهيمن من أناسٍ يرون الرفض حب الفاطميه

تنبيه: ويجب على أهل البيت أن لا يغتروا بالنسب، كما قال الإمام  
الحداد:

ثم لا تغتر بالنسب لا ولا تقنع بكان أبي  
واتبع في الهدى خير نبي أحمد الهادي إلى السنن

فعلیهم أن یبتعدوا عن المدنسات وأن یترفعوا عن السفاسف والانزلاق فی البدع المریدية كبدعة الرافضة والمجسمة و غیرها مما یشین و یعیب والله الهادی إلى سواء السبیل. اه موجز الكلام.

### 3- سلوکه مع کتاب ربه:

یجب علی الناشئ أن یعلم و یعتقد أن القرآن الکریم هو کلام الله الأزلی القدیم، القائم بذاته، المنزه عن الحرف والصوت، المنزل بواسطة الوحي علی محمد نبیه صلی الله علیه وآله وسلم، وأنه غیر مخلوق كما یعتقده المعتزلة ومن نحا نحوهم، وهم ضلال بهذه العقیده.

ویجب علیه أن یؤمن بسائر الكتب المنزلة من عند الله علی رسله ویؤمن بذلك إجمالاً، وتفصیلاً فی الأربعة الكتب وهي: التوراة وأنزلت علی سیدنا موسی، والزبور وأنزل علی سیدنا داود علیه السلام، والإنجیل وأنزل علی سیدنا عیسی علیه السلام، والقرآن الکریم وأنزل علی سیدنا محمد علیه أفضل الصلاة وأتم التسلیم، وكذلك صحف الخلیل إبراهیم، وصحف موسی وهي غیر التوراة، كما قال تعالی: (صحف إبراهیم وموسی). ویجب علیه أن یعتقد أن القرآن هو کلام الله تعالی المحتوي علی أمره ونهیة ووعظه وقصصه ومحكمه ومتشابهه.

وبعد ذلك: فسلوکه مع کتاب الله تعالی كما هو آت:

1- أن یعظم حرمة کتاب الله تعالی ویلتزم أوامره ویجتنب نواهیه، ویعظ بما فیہ من مواعظ و یعتبر بما فیہ من قصص. قال العلامة

محمد بن عمر باجمال في (مقال الناصحين): [اعلم أن أخص حرمات الله كتابه المنزل، وهو سره عند كلامه. إذ جميع كتب الله المنزلة من كلامه، ووصفه المتصف بها منها: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وسائر الكتب المنزلة على أنبيائه. فيجب إكرامها وحفظ حرمتها بأجل كرامة وأعظم حرمة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أكرموا حملة القرآن، فمن أكرمهم فقد أكرم الله، ولا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم، فإنهم من الله بمكان، كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "من دعا صاحب القرآن إلى طعامه وسقاه من شرابه لفضل القرآن، أعطاه الله بكل حرف من حروفه عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، فإذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى له: إياي أكرمت" فتأمل هذا.. فقد التحق القاصر بالكامل حيث أكرمه وحفظ حرمة وأحبه لله تعالى، فقد ورد: "المرء مع من أحب"، فلهذا اتصل المؤمنون بعضهم ببعض في النفاة والحمد لله.. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "أكرموا القرآن ولا تكتبوه على حجر، واكتبوه فيما يمحي، وامحوه بالماء ولا تمحوه بالبزاق". اهـ

2- وبعد هذا يجب عليه أن يعظم كتاب الله تعالى، فلا يضعه خلف ظهره، ولا فوق الأرض بمستوى وطء الأقدام، بل يضعه في مكان مرتفع، ولا يمدن رجليه نحوه تعظيماً لكتاب الله تعالى، وإذا حمله في حقيبة المدرسة فلا يضعها في موضع وطء الأقدام، ولا يضعها خلف ظهره عند جلوسه، بل عليه إكرام كتاب الله وتعظيمه في نفسه، فإنه كلامه وسره بينه وبين خلقه كما تقدم.

3- وعند حمله للقرآن أو مسه لا بد أن يكون طاهراً من الحدثين الأصغر والأكبر.

4- وأن يتعاهد القرآن بتلاوته، فلا أقل من جزء في اليوم الواحد تلاوة، فإن نقص عن ذلك لعذر فلا يدع نفسه خالياً من تلاوة شيء منه، فإن تلاوته من المنجيات.. قال صلى الله عليه وآله وسلم: "أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن" رواه أبو نعيم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري، وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "من قرأ القرآن في الصلاة قائماً كان له بكل حرف مائة حسنة، فإن قرأه فيها قاعداً - أي في صلاة النفل - كان له بكل حرف خمسون حسنة، فإن قرأه على طهارة خارجها فبالحرف خمس وعشرون، فإن كان على غير طهارة - أي بدون مسّه للمصحف بأن يقرأه غيباً وهو غير جنب، أما الجنب فمحرم - فبالحرف عشر حسنات".

5- وأن يتعلم القرآن تلاوةً وتجويداً وحفظاً، وقد مرّ ما لحامل القرآن من أجر ومثوبة وكرامة.

#### **4- سلوك الناشئ مع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين:**

وليعلم الناشئ أن من أوجب الواجبات أيضاً التي يجب أن يسلكها في حياته هي احترام ومحبة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وعليه أن يسلك معهم ما أراده منه المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبل أن نبين ما أراده المشرع الأعظم عليه الصلاة والسلام في حق أصحابه لا بد أن يعرف الناشئ من هم الصحابة.

فالصحابة جمع صاحب، والصاحب في اللغة: من طالت  
عشرتك به، والمراد به هنا: من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله  
وسلم مؤمناً به بعد البعثة اجتماعاً متعارفاً بأن يكون بالأبدان في  
عالم الدنيا، لا في السماء ولا في النوم أو في اليقظة بعد موته،  
ويكفي ولو لحظة وإن لم يميز أو كان أعمى أو من الملائكة أو  
من الجن. اهـ مواهب الديان.

فإذا عرفت المراد بالصحابة.. وجب عليك أن تسلك معهم  
مقام الأدب والاحترام، وذكرهم باللائق من الأمور، والإعراض  
عما بدا منهم من البشريات والهفوات والنقائص التي لا تنفك عن  
طبائع البشر، كل ذلك لأنهم رأوا صاحب المقام الأعلى ونظروا  
إلى وجهه الشريف الذي قال فيه الإمام البوصيري رحمه الله:

ليته خصني برؤية وجهه      زال عن كل من رآه العناء

ولأن الله تعالى فضلهم في كتابه وخصهم بصحبة رسوله،  
وميزهم على الغير بالنظر إلى نوره الذي قال فيه: (قد جاءكم من  
الله نور وكتاب مبين) قال ابن عباس: أما الكتاب فقد عرفناه وأما  
النور فمحمد بن عبد الله. يقول العلامة محمد بن عمر بحرق في  
هذا المقام: [وأما تفضيل سائر الصحابة على سائر الأمة فلثناء الله  
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بأبلغ الثناء، كقوله تعالى:  
(لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أولئك  
لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من  
تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) وقوله تعالى:  
(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم  
بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري



تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) وقوله تعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) وقوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) فانظر إلى هذا الثناء العظيم في سورة واحدة من الرب الكريم، العالم بالسرائر وخفيات الضمائر، المطلع على عواقب الأمور، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، في كتابه المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي لا يتصور أن يبدل القول لديه.. كيف أعد لهم الفلاح والجنات والخيرات والرضوان، ووصفهم بأجل الصفات. فمن سبَّ أحداً منهم أو احتقره أو انتقصه فقد زعم أن مدح الله - تعالى عن ذلك - انقلب ذمماً، وتحول رضاه سخطاً، وكذب بنص القرآن، وافترى على الله الزور والبهتان.

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" رواه البخاري ومسلم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه" رواه البخاري ومسلم، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "الله الله في أصحابي.. فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه"

رواه البخاري، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً" رواه المحب الطبراني.

واذكر - أيضاً - ثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وتحذيره من احتقارهم وسبهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. فأبي دين يبقى لمن حاد الله ورسوله ونسبهم إلى باطل!، أيقول هذا الشقي: إن الله أثنى على من ليس أهلاً للثناء!، أم كان غير عالم بما يؤول إليه حالهم!، أو عالماً به ورضي لرسوله أن يصحبه من يخونه بعده ولا يقوم بطاعته!، وأي ظلم أعظم ممن زعم أن أصحاب الرسول منسوبون إلى ظلم أو عدوان!، بل أي كفر أعظم من كفره!.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً] اهـ

فيا أخي: اعتقد بقلبك تعظيم الحرمات كلها، وعود لسانك وقولك الأدب في ذلك، وقد ورد: "من أحب الله أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبني، ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي"، ولا تتهاون باليسير من الشيء، فإنه ينجر إلى الكثير. قال الإمام الجنيد رحمه الله: (من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبعين باباً إلى الخير، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الشر)، فاحذر من ذلك. اهـ مقال الناصحين.

ثم ليعلم الناشئ بعد ذلك.. أن أفضل صلحاء هذه الأمة: سيدنا أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي ابن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج البتول ويعسوب المؤمنين. روى المحب الطبري عن علقمة قال: سمعت علياً رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: (بلغني أن أناساً يفضلونني على أبي بكر

وعمر فمن أتيت به وقد قال شيئاً من ذلك جلدته جلد المفترى، إلا إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا، وقد رميت بها في رقابكم فلا حجة لكم عند الله).

وهؤلاء هم الخلفاء الأربعة الراشدون الذين عناهم عليه الصلاة والسلام بقوله: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور.. فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة...".

وقد أجمعت الأمة على خلافتهم وأفضليتهم وترتيبهم في ذلك، وبعدهم في الأفضلية بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، ثم أهل غزوة بدر، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم أهل غزوة أحد، وكانوا سبعمائة، ثم أهل بيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وأربعمائة، ثم بقية الصحابة، ثم التابعون، وأفضلهم أويس القرني، ثم تابعو التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

## 5- سلوك الناشئ مع علماء أمته عليه الصلاة والسلام:

أولاً: ليعلم الناشئ أن علماء أمته صلى الله عليه وآله وسلم هم حماة الدين وحفاظ شرع سيد الأولين والآخرين.

ثانياً: ليعلم أنهم هم الذين بلغوا إلينا الدين وعلومه لأن النبي عليه الصلاة والسلام بثه في أصحابه، وأصحابه بثوه في التابعين،

وهكذا التابعون بثوه في من بعدهم. وحمل هذا العلم من كل طبقة عدوله، كما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: "يحمل هذا العلم من كل خَلْفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".

ثالثاً: ليعلم أن العلماء هم الوسائط بين الله وبين خلقه وأنهم العارفون بما يجب من رعاية حقه. وأن الله أوجب على جميع عباده حتى على الملوك الذين مكنهم الله في بلاده طاعة العلماء والانقياد لأمرهم فَقَدَرُوهم قَدَرَهُم، وشَدَّوا بهم أَزْرَهُم، وجعلوا من طاعة الله نصرهم، وتواضعوا للعلم والعلماء ولم يتكبروا، وانقادوا تحت أمر علمائهم ولم يتجبروا.

رُوي أن أمير المؤمنين (هارون الرشيد) لما قدم المدينة حاجاً، وجّه البرمكي إلى الإمام (مالك بن أنس) الفقيه - رضي الله عنهما - وقال له: يقول لك أمير المؤمنين، احمل إليه الكتاب الذي صنفته - يعني الموطأ - ليسمعه عليك. فقال له مالك: أقرئه السلام، وقل له إن العلم يُزار ولا يزور، ويؤتى ولا يأتي. فرجع البرمكي إلى هارون فأخبره، ثم قال له البرمكي: يا أمير المؤمنين: يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك بأمر فخالفك، اعزم عليه حتى يأتيك.

فبينما هم كذلك إذ بمالك - رحمه الله - قد دخل وليس معه الكتاب، جاء مسلماً على الخليفة، فسلم وجلس، فقال له هارون: يبلغ أهل العراق أنني سألتك أمراً من الأمور سهلاً فأبيت عليّ، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعلك في هذا الموضع لعلمك، فلا تكن أول من يضع العلم فيضعك الله؛ ولقد رأيت من ليس هو في حسبك ونسبك يُعزّ هذا العلم ويُجلّه، فأنت أحرى أن تُجلّه. ولم يزل يعدد عليه من ذلك أشياء حتى بكى هارون، ثم قال

مالك: أخبرني الزهري عن خارجة، قال: قال زيد بن ثابت: كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي في كَتِفِ: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، وابن أم مكتوم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أنا رجل ضير البصر فهل لي من رخصة؟ - يعني في ترك الجهاد -. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا أدري. قال زيد: وقلمي رطب ما جفّ حتى غشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي، فوقعت فخذة على فخذي، فكادت تندق من شدة الوحي، ثم سُرِّي عنه صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: اكتب يا زيد (غير أولي الضرر).

قال: فحرف واحد يا أمير المؤمنين بُعث فيه جبريل عليه السلام والملائكة من مسيرة خمسين ألف عام، حتى نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم! أفلا ينبغي لي أن أعزه وأجله؟ قال: بلى... ثم إن هارون أتى إلى منزل مالك لسمع منه الكتاب، والله الموفق للصواب.

ولما رحل الإمام الشافعي - رحمه الله - إلى العراق، أتاه رسول محمد بن الحسن وأبي يوسف، يطلبانه القدوم عليهما ليسألأه عن شيء من العلم. فقال لرسولهما: قل لهما: إن من حَكَم العلم أن يؤتى ولا يأتي، فإن كان لهما حاجة فليأتياي. فرد عليهما الجواب، فأتياه لذلك. اهـ من نشر طي التعريف.

رابعاً: ليعلم أن العلماء هم ورثة الأنبياء كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه

فقد أخذ بحظِّ وافر" رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة في سننهم.

خامساً: ليعلم أيضاً أن العلماء خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمتهم فهم واسطة بين الله تعالى وبين بريته، يحرّمون ويبيحون ويميزون الفاسد من الصحيح، وهم كما ذكرنا مبلّغون عن الله، ومعبرون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه هي المرتبة العليا، وهذا هو الشرف الأقصى، ويؤيد ذلك ما رواه الخطيب البغدادي وأبو نعيم الحافظ بإسناديهما عن علي رضي الله عنه أنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "اللهم ارحم خلفائي"، قال: قلنا: يا رسول الله ومن خلفائك؟ قال: "الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس".

وأنشد الإمام أبو عبد الله محمد بن النعمان رحمه الله شعراً في المعنى يقول فيه:

هم خلفاء للنبي كما أتى عليّ رواه ثم عنه رَوَيْنَاهُ

سادساً: ليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكم أن الفقهاء هم خيار الناس حيث قال: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" رواه البخاري ومسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"، وفي كتاب الله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب). فمنع الله تعالى المساواة بين العالم والجاهل لما خص به العالم من العلم. وقال

صلى الله عليه وآله وسلم: "خيار أمتي علماؤها وخيار علمائها فقهاؤها".

سابعاً: ليعلم أن العلماء الذين يعلمون الناس العلم مكانهم عند الله عالٍ، ومنزلتهم عالية، ففي الحديث الذي رواه الثعالبي بإسناده: "خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جدّوه".

ثامناً: ليعلم أن حاجة الناس في الدنيا للعلماء هي تبصيرهم بأمور دينهم وكشف ما أنبهم منه كما مر سابقاً، وأن حاجة الناس إليهم لا تنقطع في الآخرة فإنهم في الدنيا هم رؤوس الرؤساء، وبعد أنبياء الله هم الخلفاء، وفي يوم القيامة هم الشفعاء، وفي الجنة يحتاج الناس إليهم، ويعول عند طلب الأمانة عليهم، كما ورد في الأثر عن معاذ رضي الله عنه قال: إن العلماء ليحتاج إليهم في الجنة، إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء، كذا ذكره الإمام الغزالي في كتاب الدعوات من كتابه. اهـ نشر طي التعريف.

وبعد هذا كله فيجب على الناشئ أن يسلك مع أهل العلم السابقين واللاحقين الأدب والاحترام والتعظيم والإجلال. وليحذر من تلبهم وانتقاصهم، وسوء الظن بهم كما هو حال كثير من الأحداث ومن لا خير فيهم، إذ لا يرون الحديث يحلو لهم إلا في انتقاص أهل العلم حيث يرمونهم بالبدعة تارة، وبمخالفة السنة أخرى، وبسوء المعتقد مرة، وبتسفيه آرائهم وبتخطئتهم مع ما هم عليه - أعني هؤلاء المنتقصين الواقعيين في أعراض أهل العلم - من الجهل المركب، والعمى للبصر والبصيرة، فتجدهم لا يتكلمون إلا على أكابر العلماء من القرون الأولى، كالإمام الشافعي،

والإمام أبي حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، ومن في طبقتهم وكذا في علماء العصر.

وما دروا أن الوقعة في العلماء محرمة أشد التحريم، حيث ذكر ذلك الإمام أبو القاسم الرافعي رحمه الله وتبعه النووي والأصبحي وغيرهم على ذلك، بل ألحقوا الوقعة في أعراض العلماء بالكبائر التي ترد بها الشهادات، وتسقط بها الولايات، وهذا مالم يقصد بذلك استهزاءً بهم عند الوقعة أي الخائض في مقاماتهم، فإن قصد الاستهزاء بالعلم أو بالعلماء أو بالشرعية العظمى أو بشيء من أحكام الدين فقد كفر بالله رب العالمين وصار مرتداً تجري عليه أحكام المرتدين. اهـ نشر طي التعريف بتصرف.

ومن السلوك معهم محبتهم لأن العلم منزلة رفيعة فمحبته صاحبه من الأمور التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم، لأن من أحب عالماً لأجل العلم الذي في قلبه ولم ينظر إلى ما يتخيل من زلته وذنبيه، فقد أدى ما يجب من حق العالم لأجل ربه، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة أيام حياته، ومن مات على محبة العلم والعلماء فهو رفيقي في الجنة"، وقال: "من أحب طالب العلم فقد أحب الأنبياء ومن أحب الأنبياء كان معهم، ومن أبغض طالب العلم فقد أبغض الأنبياء، ومن أبغض الأنبياء فجزاؤه جهنم"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من حقر عالماً فهو منافق ملعون في الدنيا والآخرة".

وقال علي - رضي الله عنه: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صاحب العلم فقال: "هو سراج أمتي في الدنيا والآخرة، طوبى لمن عرفهم وأحبهم، وويل لمن أنكر معرفتهم وأبغضهم،



ومن أحبهم شهدنا له أنه في الجنة، ومن أبغضهم أبغضناه وشهدنا أنه في النار".

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اكتبوا العلم فإن الله سبحانه ملائكة في السماء السابعة يستغفرون للفقهاء والمتعلمين ويُعطيهم الله تعالى بكل حرف ثواب نبي من الأنبياء، ويكتب لهم كل يوم ألف حسنة". ذكر هذه الخمسة الأحاديث الإمام موسى بن أحمد الوصابي في كتابه (الحجة) من تصانيفه. اهـ نشر طي التعريف.

ومن عظيم السلوك معهم أي العلماء الأدب الكامل، والاحتراس من الوقوع في أعراضهم، أو انتقاص كلامهم، بل يؤخذ بعين التقدير والاحترام. فإنهم يحكون الشريعة إما نصاً وإما قياساً وخاصة علماء المذاهب الأربعة؛ فإن أقوالهم لا تخرج عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهي مصادر التشريع، وأتى من بعدهم من العلماء ومحصوا أقوالهم، ودلوا عليها فكل مذهب من المذاهب اعتمده أصحاب القرن الذي يلونهم، وهكذا إلى يومنا. وهم الكثرة الغالبة من علماء الدين وحماة شريعة سيد المرسلين، فلا تقبل أقوال هؤلاء المتجربين على أهل العلم، الذي يسفهمون ويردون أقوالهم، ويقعون في أعراضهم، فإن لحوم العلماء مسمومة. يقول الإمام أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله في بعض رسالاته ما هذه صورته: [اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة. وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم). كذا حكاه عنه الإمام النووي - رحمهما الله - في كتاب (التبيان).

وأى مصيبة أعظم من موت القلب، الذي هو دليل على غضب الرب سبحانه، فإن الذي مات قلبه لا يخشع، ولا فيه المواعظ قط تنجع، وإذا تليت عليه آيات ربه أصرّ مستكبراً كأن لم يسمع. فبشره بعذاب أليم، وخطب عظيم جسيم. حين قسا قلبه، واران عليه ذنبه، نسأل الله العافية لنا ولجميع المسلمين، وأن يوفقنا لطاعته أجمعين، وأن يجعلنا من الخاشعين المتعظين. وأنشد بعضهم في معنى ما قاله ابن عساكر - رحمه الله - شعراً يقول فيه:  
وتجنّب العلماء وإن هم خلطوا فالعلم يغفر زلّة العلماء  
فلحومهم مسمومة وبأكلها يُخشى هلاك الشعر والشعراء

اه نشر طي التعريف.

وخاتمة المطاف في السلوك نحو أهل العلم صغيرهم وكبيرهم الأدب الكامل، وصون اللسان عنهم وذكر أقوالهم مع التعظيم لها، وعدم اعتقاد أنهم يقولون ما يخالف الكتاب والسنة، فحاشاهم أن يقولوا بخلاف ما قاله الله ورسوله، وهم حماة الشريعة والنائبون عنها كما تقدم.

ولا يخفى أن الأكابر منهم ركن الدين، والأصاغر منهم غرس الدين. روى الخطيب البغدادي رحمه الله (في كتابه) عن ابن المبارك رحمه الله أنه كان إذا رأى صبيان أهل الحديث في أيديهم المحابر يقربهم ويقول هؤلاء غرس الدين، أُخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يزال الله سبحانه يغرس في هذا الدين غرساً يشدُّ بهم الدين، هم اليوم أصاغر ويوشك أن يكونوا كباراً من بعدكم". اه نشر طي التعريف

## 6- سلوكه مع مشايخه ومعلميه:

ليعلم الناشئ أن شيخه وأستاذه هما اللذان أقاما صفاته، وفتقا مُعْجَمَ لسانه، وحلّياه بالمعرفة وألبساه لباس الأدب وأقاما فيه ما اغوّجَ وخرّجاه للمجتمع، وهو يلبس لباس العلم بعد لباسه لباس الجهل والصغار، ففضلهما عليه كبير، وواجبه نحوهما عظيم، وقد أثر عن الإمام علي - رضي الله عنه - أنه قال: من علمني حرفاً كنت له عبداً. بل وقد رجح كثير من الحكماء حق الشيخ والأستاذ على حق الوالد حتى قال بعضهم:

يافاخراً للسفاه بالسلف      وتاركاً للعلاء والشرفِ  
آباءُ أجسادنا هم سببُ      لأن جُعِلْنَا عرائضَ التلفِ  
مَنْ علَّمَ الناسَ كان خيرَ أبٍ      ذاك أبو الروح لا أبو النُّطفِ

وبعد هذا فيجب على الناشئ أن يعرف لمعلمه فضل علمه، وأن يشكر له جميل فعله فقد روت عائشة - رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "مَنْ وقر عالماً فقد وقر ربه"، وقال الإمام علي: لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل.

ومما يجب عليه أيضاً أن لا يظهر له الاستكفاء منه وإن طال الزمان، ولا الاستغناء عنه كما يفعله كثير من أبناء هذا الزمان، لأن في ذلك كفراً لنعمته واستخفافاً بحقه.

وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه، لجودة ذكائه، وحدة خاطره، فقصده من يعلمه بالإعانة له، والاعتراض عليه، ازدراء به، وتبكيته له، فيكون كمن تقدم به المثل السائر لأبي البطحاء:

أعلمه الرماية كل يومٍ فلما استندَّ ساعده رمانى

وهذه من مصائب العلماء، وانعكاس حظوظهم، أن يصيروا عند من يعلمونه مستجهلين، وعند من قدموه مسترذلين. وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن عناءً أن تعلمَ جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلمُ  
متى يبلغُ البنیانُ يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ؟  
متى ينتهي عن سيء من أتى به إذا لم يكن منه عليه تنذمُ؟  
اه أدب الدنيا والدين.

وإذا علم الناشئ ما لشيخه وأستاذه من عظيم القدر ووافر الحرمة، فيجب عليه أن يعلم أن السلوك معه يجب أن يكون بأجل الاحترام، وأن ينزله أعظم منزلة، وأن يرفعه في المكان المناسب له؛ لما له عليه من حقوق، قال الإمام الغزالي رحمه الله في بداية الهداية: [وإن كنت متعلماً فأداب المتعلم مع العالم أن يبدأ بالتحية والسلام، وأن يُقلل بين يديه الكلام، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً، ولا يقول في معارضة قوله قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يشير عليه بخلاف رأيه، فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يشاور جلسه في مجلسه، ولا يلتفت إلى الجوانب.. بل يجلس مُطرقاً عينه ساكناً متأدباً كأنه في الصلاة، ولا يكثر عليه السؤال عند مله، وإذا قام قام له، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله، ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله، ولا يسيء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده، فهو أعلم بأسراره،

وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام: (أَخْرَفْتَهَا  
لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إِمْرًا) وكونه مخطئاً في إنكاره اعتماداً  
على الظاهر]. اهـ

## 7- سلوكه مع الأقارب:

### أ- سلوكه مع والديه:

لتعلم أيها الناشئ تمام العلم ما للوالدين عليك من حق كبير، فهما  
أساس إيجادك لهذا الكون، وكم تعبا عليك وعلى تربيتك، وخاصة  
أمك في حملها ووضعها لك وتربيتك عانت الكثير، وأبوك أيضاً  
هو المصدر الأساسي لرزقك، والسبب في تربيتك، وله الأثر  
الكبير في حياتك. لذلك نجد أن الله تعالى قرن برّهم بعبادته، فقال  
تعالى: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما  
يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما  
وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل  
رب ارحمهما كما ربياني صغيراً). بل إن الله جعل من أحب  
الأعمال الظاهرة إليه بعد الصلاة المفروضة في أول وقتها بر  
الوالدين، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال:  
"الصلاة لأول وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم  
أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" رواه البخاري ومسلم.

ولتعلم أيها الناشئ أن أحق الناس بحسن صحبتك وجميل  
عشرتك هم أبواك، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال  
رجل: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: "أمك ثم  
أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك" رواه البخاري ومسلم.

ومن عظيم حق الوالدين تقديم الشارع الحكيم برهما وخدمتهما  
على الجهاد في سبيل الله، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما  
- قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنه في  
الجهاد فقال: "أَحْيِ وَالِدَاكَ"؟ قال: نعم، قال: "ففيهما فجاهد" رواه  
البخاري ومسلم.

بل ومن رفيع منزلتهما أن جعلهما الله سبيلاً إلى الجنة فقال  
عليه الصلاة والسلام: "رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ مَنْ  
أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ" رواه  
مسلم.

وفي المقابل فإن المشرع الأعظم جعل عقوق الوالدين من  
الأمر العظام، ومن أكبر الكبائر، كل ذلك للقيام بالأدب الكامل  
مع الوالدين، ففي الحديث: "ثلاثة حرمَّ الله تبارك وتعالى عليهم  
الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والدَّيُّوثُ الَّذِي يُقْرُّ الْخَبْثَ فِي  
أَهْلِهِ".

فبعد أن عرفت هذا أيها الناشئ المؤمن فإن سلوكك مع أبويك  
يجب أن يكون كما وضحه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فقال:  
[وإن كان لك والدان، فأداب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما،  
ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما، ولا يمشي أمامهما، ولا يرفع  
صوته فوق أصواتهما، ويلبِّي دعوتهما، ويحرص على

مرضاتهما، ويخفض لهما جناح الذل، ولا يُمَنّ عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما، ولا ينظر إليهما شَزْراً، ولا يقُطَب وجهه في وجههما، ولا يسافر إلا بإذنهما]. اهـ بداية الهداية.

ويقول الإمام الحداد رحمه الله تعالى: [وبالجملة فحق الوالدين أعظم الحقوق بعد حق الله وحق رسوله؛ فعليك ببرهما وبالإحسان إليهما وبطاعتهما وخفض الجناح لهما، وبتقديمهما في البر والصلة والمعروف، على نفسك وعلى أهلك وأولادك، من غير منة عليهما ولا استئقالهما، وعُدَّ حاجتهما إليك ورغبتهما في برك وخدمتك إياهما من أعظم ما من الله به عليك، ووفقك له.

واعلم أن بر الوالدة أضعاف بر الوالد؛ كما ورد في الحديث. ولعل السبب في ذلك ما تقاسيه الوالدة من تعب الحمل ومشاقه، ومشقة الوضع ومؤونة الرضاع والتربية، ومزيد الحنانة والشفقة والله أعلم] اهـ النصائح الدينية.

**تنبيه:** هناك سلوك يجب على الناشئ أن يسلكه مع والديه بعد وفاتهما؛ فإن سلوكه لا ينتهي معهما بموتهما، بل هناك سلوك بعد وفاتهما كما ذكرت قد يغفل عنه الكثير، وبيانه كما قاله الإمام الحداد في النصائح حيث يقول: [وكما يجب على الإنسان أن يبرّ والديه في حياتهما، كذلك ينبغي له أن يبرهما بعد وفاتهما، وذلك بالدعاء والاستغفار لهما، وبالتصدق عنهما، وبقضاء ديونهما وتنفيذ وصاياهما، وبصلة أرحامهما وبر أصدقائهما وأهل مودتهما، فذلك كله من تمام البر كما وردت به الأحاديث. وفي الدعاء للميت وفي الاستغفار له، والتصدق عنه نفع له كثير؛ فينبغي للإنسان أن لا يغفل عن ذلك في حق والديه خصوصاً،

وفي حق غيرهم من الأقارب وذوي الحقوق عليه والمسلمين  
عموماً]. اهـ والله أعلم  
ب - سلوكه مع إخوانه وأخواته:

ثم بعد ما علمت أيها الناشئ سلوكك مع والديك وما الذي  
يجب عليك تجاههما في حال حياتهما وبعد موتهما أذكر لك  
سلوكك مع إخوانك وأخواتك وإن كانوا هم من ذوي الأرحام  
وسوف أذكر سلوكك مع ذوي الأرحام على الجملة بعدما أوضح  
لك من هم ذوو الأرحام ولكن قدمت سلوكك مع الأخوان  
لارتباطهما المباشر بالوالدين.

والأخوان إما أن يكونوا أكبر منك أو أصغر منك، فإن كان  
أخوك أكبر منك فهو بمثابة الأب لك، فقد ورد أن الأخ الأكبر مثل  
الوالد.

وجاء أخوان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليحدثاه  
بحادثة وقعت لهما، وكان أحدهما أكبر من أخيه، فأراد أن يتكلم  
الصغير فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "كبر.. كبر" -  
أي أعط الكبير حقه، ودع لأخيك الأكبر الكلام - رواه البخاري  
ومسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: "ليس منّا من لم يُجلّ كبيرنا،  
ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه" رواه الإمام أحمد والحاكم.

فإذا عرفت مقام أخيك الكبير في ميزان الشرع فإن السلوك معه  
يكون على النحو التالي: وهو أن تعرف للكبير قدره وحقه، فإذا  
ماشيته فقدمه عليك في الدخول والخروج، وإذا لقيته فأعطه حقه  
من السلام والاحترام، وإذا اشتركت معه في حديث فمكنه من



الكلام قبلك، واستمع إليه بإصغاء وإجلال. وإذا كان في الحديث ما يدعو للمناقشة فناقشه بأدبٍ وسكينةٍ ولطفٍ، وعض من صوتك في حديثك إليه، وإذا خاطبته أو ناديته فلا تنسى تكريمه في الخطاب والنداء، وأما إذا كان أخوك أصغر منك فعليك نحوه سلوكيات لا بد من مراعاتها، وهي نصحه وإرشاده وتوجيهه بالحسنى واللطف واللين ورحمته، وإعطاؤه الثقة في نفسه، والعطف عليه، والحنو الكامل له فإنك بمثابة أبيه، والأب دائماً يكون رحيماً. وقد ورد في الحديث السابق الذي رواه الإمام أحمد والحاكم: "ليس منا من لم يُجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه".

### ج - سلوكه مع أرحامه:

وأما سلوك الناشئ مع أرحامه فيجب عليه أولاً: أن يعلم أن أرحامه هم أقاربه، وهم كل من بينه وبينهم ولادة كالأخ والأخت والعمة والخالة.

ثانياً: عليه أن يعلم ما قاله الله ورسوله في صلة الأرحام فقد قال تعالى في الأمر بصلتهم: (وآت ذا القربى حقه)، وقال تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) أي واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها، وقال تعالى في معرض الثناء على واصلي الأرحام: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، وقال

صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ سرَّه أن يُمدَّ له في عمره ويوسَّعَ له في رزقه ويُدْفَعَ عنه ميتة السوء فليثق الله وليصِلْ رحمه".  
فكم من فوائد يحصل عليها من وصل رحمه كما في هذا الحديث، وهي طول العمر مع سعة الرزق وكونه يموت بعد ذلك ميتة حميدة سعيدة.

ثالثاً: عليه أن يعلم ما قاله الله ورسوله في قطيعة الأرحام فقد حذر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام من قطيعة الرحم أيما تحذير؛ فقد قال تعالى: (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)، وقال تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) فقاطع الرحم كما هو مقرر في هذه الآيات ملعون، والملعون مطرود من رحمة الله تعالى.

وقد حكم عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مقطوع من رحمة الله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "قال الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته".

بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بأن الرحمة لا تنزل على القوم بسبب كون قاطع الرحم فيهم ففي الحديث: "إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم"، فكيف يكون حال القاطع نفسه، وأخبر أيضاً أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة قاطع".

وبالجملة فإن عقوبة قاطع الرحم معجلة في الدنيا مع ما يدخره الله تعالى للقاطع من العقوبة في الآخرة.

وبالمقابل فإن الله تعالى يعجل ثواب البر والصلة للأرحام في الدنيا مع ما يدخره الله للواصل من عظيم الثواب في الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: "أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم وأسرع الشرّ عقاباً البغي وقطيعة الرحم"، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من ذنب أجد أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم".

فبعد ما علم الناشئ هذا كله فيكون سلوكه مع أرحامه بالواصل وعدم القطيعة، فعليه أن يسأل عنهم، ويتفقد أحوالهم، ويحترم كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويساعد محتاجهم، ويبذل ما بوسعه في إرضائهم، وسد عَوَزِهِم، والسؤال عن مريضهم، وإجابة دعوتهم. يقول الإمام الحداد في هذا الباب: [وينبغي للإنسان أن يصل أرحامه وإن لم يصلوه، ويحسن إليهم وإن لم يحسنوا إليه. قال عليه الصلاة والسلام: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل هو الذي إذا قُطِعَ رحمه وصلها".

وينبغي له أيضاً أن يصبر على أذاهم إن آذوه، ولا يكافئهم بإساءاتهم إن أساءوا إليه؛ بل يعفو ويصفح، ويصل ويحسن، وكلما آذوه وأسأؤوا في حقه كانت الصلة لهم أكدر، وكانت الصدقة عليهم أفضل. قال عليه الصلاة والسلام: "أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح"، وهو الذي يضمّر العداوة لقريبه المحسن إليه. وفي حديث الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني... فذكر الحديث حتى قال في آخره: "ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك"، يعني على برهم وصلتهم وإن قطعوا وأسأؤوا.

وكذلك ينبغي للإنسان أن لا يتعدى بصدقته أقاربه وأرحامه المحتاجين فيتركهم ويتصدق على غيرهم؛ قال عليه الصلاة والسلام: "المتعدي في الصدقة كمانعها"، وورد: "أن من يتصدق على الأجانب مع علمه بحاجة أقاربه إلى صدقته لا يقبل الله صدقته"، وقال عليه الصلاة والسلام: "الصدقة على الأجانب صدقة، والصدقة على الأقارب اثنتان: صدقة وصله".

(قلت): ومحل ذلك ما لم تشتد حاجة الأقارب، وإلا فهم أحق بالصدقة من غيرهم. وإذا وسعت الصدقة القريب والبعيد فاشتركوا فيها كانت على البعيد صدقة فقط، وعلى القريب صدقة وصله. أما إذا تعدى بصدقته وترك أقاربه مع العلم بحاجتهم فقد أساء وظلم وصدقته غير مقبولة كما ورد.

وكلما كان الرحم أكثر قرابة كان حقه أكد وكانت صلته أوجب، ويكون القريب الضعيف المسكين المحتاج أولى بالبر والصلة من القريب الغني، وذلك لأنه يصير للقريب المسكين حقان: حق القرابة وحق المسكنة.

وقد قرن الله بين الأمر بالإحسان إلى القرابة والمساكين في آيات من كتابه، مثل قوله تعالى: (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) ومثل قوله تعالى: (وآت المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين) إلى غير ذلك. فلا شك أن صلة من له حقان معاً أولى من صلة من له حق واحد.

فليجتهد العبد الموفق في صلة أرحامه وأقاربه، بكل ما يمكنه ويستطيعه من بر ومعروف، وهدية وصدقة، وزيارة ومؤانسة، ويفعل مع كل منهم ما يناسبه من ذلك، ويكون فيه بره وصلته

وإيناسه، ولا يُقَصِّرُ في صلة أرحامه كسلاً وبخلاً واستخفافاً بحق الرحم التي عَظَّم اللهُ أمرها وأكثر الوعيد في قطيعتها، وعلى العبد بذل الاستطاعة والمقدور، وعلى الله الإعانة والمسامحة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: "بَلِّوا أرحامكم ولو بالسلام" أي صلّوهم بما تقدرون عليه.

وقد عمّت في هذا الزمان قطيعة الأرحام، وقلة المبالاة بصلّتهم وتعهدهم. ولعل السبب فيما حدث، وعمّ العباد والبلاد من ضنك المعاش، وضعف الأرزاق، وقلة ذات اليد، هو القطيعة للأرحام التي قد فشت وانتشرت في هذه الأيام. وقد وردت الأحاديث بأن صلة الأرحام منسأة في الآجال، مَثْرَاة في الأموال.

وأن الله تعالى قد بسط الرزق لأقوام، وأكثر لهم الأموال. وما نظر إليهم منذ خلقهم، لعدم صلّتهم أرحامهم، فتكون القطيعة وترك الصلة على الضد من ذلك. والله أعلم] اهـ النصائح الدينية.

## **8- سلوكة مع إخوانه المسلمين:**

يجب على الناشئ أن يعلم ثمرة ما تقدم من الإيمان بالله ورسوله، وانغراس الدين الحق في نفسه، هي المعاملة مع الآخرين، والتي عناها عليه الصلاة والسلام بقوله: "الدين المعاملة"، وبقوله: "التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات" أي أن ترجمة الإيمان الأعمال وثمره الأعمال المعاملة. وقد تقدم كيف تكون معاملة الناشئ وسلوكة مع الله وكلامه ومع رسوله وسنته وأهل بيته وأصحابه ومن أمر الله تعالى بالمعاملة معهم بالإحسان والحسنى من

الوالدين والأقارب، وبما تقدم ينتهي السلوك مع الخواص ثم السلوك مع العامة هذا أوانه. وهو أن تعلم أن المؤمن له ذمة عند الله كبيرة وله حرمة عظيمة. وذلك بقدر إيمانه وخصوصيته من ربه. هذا غيب في القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب. فاحفظ الذمة والحرمة لكل مسلم بكل حال، والتمس من كل أحد منهم الدعاء. فقد ورد: أن الله تعالى ثلاث حرمت، فمن حفظهن حفظه الله في دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له دنياه ولا آخرته، قيل: وما هن؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي. ففي الحديث: "المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير". فيجب أن تعتقد أن كل مؤمن فيه من الله بركة، وله عنده ذمة وحرمة. فاحفظ يا أخي ذلك ولا تغفل مما هنالك. فقد ورد: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت، ولا في القبور، ولا عند النشور. ففي الحديث: "إن الله أخفى أربعاً في أربع: أخفى رضاه في طاعته، فلا تتركوا منها شيئاً لقلته، فلعل فيه رضاه. وأخفى غضبه في معصيته، فلا تتهاونوا بشيء منها لصغره وقلته، فلعل فيه غضبه ونقمته. وأخفى سره في عبادته؛ فلا تحقروا منهم أحداً لفقره وورثاته، فلعل السر والخصوصية فيه؛ فتقعدوا في المحذور. وأخفى الموت في وقته؛ فلا يأتي إلا بغتة، فاستعدوا له في كل وقت". وقد روي بدل هذه الرابعة: "وأخفى الإجابة في الدعاء؛ فلا تترك منه شيئاً فلعل إجابته فيه" الحديث بمعناه. اهـ مقال الناصحين

فإذا عرفت ما للمسلم من عظيم المنزلة ورفيع الدرجة عند الله فاعلم عندئذ ما يجب عليك تجاهه من سلوك سوي. والسلوك معه تشتمله هذه النقاط وهي:

1- أن تعامله معاملة الأخ فإن كان كبيراً فمعاملته كمعاملة الأخ الأكبر لك، وإن كان صغيراً فكالصغير من إخوانك، لأن الله تعالى يقول: (إنما المؤمنون إخوة).

2- أن تبذل له النصيحة في الدين، وتعاونه على البر والتقوى، وعلى طاعة رب العالمين. فقد قال عليه الصلاة والسلام: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

3- أن تستر عورته، وتفرج كربته، وتعينه في قضاء حاجته، وتغيث لهفته، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"، وورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "المسلم للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً".

4- أن لا تؤذي أحداً من المسلمين ولا تستخف به ولا تحتقره ولا تخذله ولا تسخر منه ولا تستهزئ به، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ولا يكذبه التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".

5- أن يهتم بأمر المسلمين، ويفرح بمسارهم، ويغتم بما يسوؤهم، فقد ورد في الحديث: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

6- أن يحب لسائر المسلمين ما يحبه لنفسه ويكره لهم ما يكرهه لنفسه فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

7- أن يظن بالمسلمين الظن الحسن، ولا يظن بهم الظن السيئ، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله".

قال الإمام الشافعي رحمه الله من أراد أن يقضي الله له بالخير فليحسن الظن بالناس. اهـ مقال الناصحين.

8- أن يقوم بما عليه من واجبات نحو إخوانه المسلمين، والتي قد وردت في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال: "حق المسلم على المسلم ستة" فقليل: وما هي يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه".

والحاصل أن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في بداية الهداية، حدد سلوكك مع المسلمين بعد أن قسمهم إلى ثلاثة أصناف فقال: [واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقاك ثلاثة أصناف: إما أصدقاء، وإما معارف، وإما مجاهيل. فإن بليت بالعوام المجهولين، فأداب مجالستهم:

ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء أفاظهم، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم، والتنبيه على منكراتهم باللفظ والنصح عند رجاء القبول منهم.

وأما الأخوان والأصدقاء، فعليك فيهم وظيفتان:



إحداهما: أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصدقة، فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصدقة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

فإذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم، وصاحبك في أمر دينك ودنياك؛ فراع فيه خمس خصال:

### الأولى - العقل:

فلا خير في صحبة الأحمق، فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق. قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أبا الجهل	وإياك وإياه
فكم من جاهل أرى	حليماً حين واخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما المرء ما شاه
كحذو النعل بالنعل	إذا ما النعل حاذاه
وللشيء من الشيء	مقاييس وأشباه
وللقب على القلب	دليل حين يلقاه

### الثانية - حسن الخلق:

فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة، وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال: يا بُنَيَّ.. إذا أردت صحبة إنسان، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن

قعدت بك مؤونة مانك.. اصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها،  
وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها، اصحب  
من إذا قلت صدق قولك، وإذا حاولت أمراً أعانك ونصرك، وإن  
تنازعتما في شيء آثرك. وقال علي رضي الله عنه رجزاً:

إن أخاك الحقّ من كان معك      ومن يضر نفسه لينفعك  
ومن إذا ريبُ الزمان صدّك      شتّت فيك شمله ليجمعك

### الثالثة - الصّلاح:

فلا تصحب فاسقاً مُصِيراً على معصية كبيرة، لأن من يخاف الله  
لا يُصِرُّ على معصية كبيرة. ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله،  
بل يتغير بتغير الأغراض والأحوال. قال الله تعالى لنبيه صلى الله  
عليه وآله وسلم: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه  
وكان أمره فرطاً).

فاحذر صحبة الفاسق، فإن مشاهدة الفسق والمعصية على  
الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية، ويهون عليك أمرها،  
ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لإفهم لها، ولو رأوا خاتماً  
من ذهب أو ملبوساً من حرير على فقيه لاشتدّ إنكارهم عليه،  
والغيبة أشد من ذلك.

### الرابعة - لا تصحب حريصاً:

فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل، لأن الطباع مجبولة على التشبه والإقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري، فمجالسة الحريص تزيد في حرصك، ومجالسة الزاهد تزيد في زهدك.

### الخامسة - الصدق:

فلا تصحب كذاباً؛ فإنك منه على غرور، فإنه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب.

ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد. فعليك بأحد أمرين: إما العزلة والانفراد ففيها سلامتك. وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم أن الأخوة ثلاثة:

أخ لآخرتك: فلا تراع فيه إلا الدين.  
وأخ لدنياك: فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن.  
وأخ تستأنس به: فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه.

والناس ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يبتلى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجب مداراته إلى الخلاص منه، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها، وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه، فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن.

وقيل لعيسى عليه السلام: من أدّبك؟ قال: ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته!! ولقد صدق على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لکملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين.

الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحبة، فمهما انعقدت الشركة، وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة؛ فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة، وفي القيام بها آداب، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: "مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى". ودخل صلى الله عليه وآله وسلم أجمّة، فاجتني منها سواكين، أحدهما معوجٌ والآخر مستقيم، وكان معه بعض أصحابه، فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج، فقال: يا رسول الله أنت أحق مني بالمستقيم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا ويسأل عن صحبته، هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه"؟ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبهما إلى الله تعالى أرفقهما بصاحبه".

وآداب الصحبة: الإيثار بالمال فإن لم يكن هذا، فبذل الفضل من المال عند الحاجة، والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس، وكتمان السر، وستر العيوب، والسكوت على تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه، وأن يدعو بأحب أسمائه إليه، وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنيعه في حقه، وأن يذنب عنه في غيبته إذا تُعْرَضَ لِعَرْضِهِ، كما يذنب عن نفسه، وأن ينصحه باللطف، والتعريض إذا احتاج إليه، وأن يعفو

عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه، وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته، وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجته، فيروح قلبه من مهماته، وأن يظهر الفرح بجميع ما يتاح له من مساره، والحزن على ما يناله من مكارهه، وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهر؛ فيكون صادقاً في وده سراً وعلانية، وأن يبدأه بالسلام عند إقباله، وأن يوسع له في المجلس، وأن يخرج له من مكانه، وأن يشيِّعه عند قيامه، وأن يصمت عند كلامه؛ حتى يفرغ من كلامه، ويترك المداخلة في كلامه.

وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به، فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فَأُخُوَّتُهُ نفاق، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة.

فهذا أدبك في حق العوام المجهولين، وفي حق الأصدقاء المؤاخين.

وأما القسم الثالث: وهم المعارف، فاحذر منهم فإنك لا ترى الشر إلا ممن تعرفه. أما الصديق فيعينك، وأما المجهول فلا يتعرض لك، وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون لك الصداقة بالسنتهم.

فأقلل من المعارف ما قدرت، فإذا بليت بهم في مدرسة أو جامع أو مسجد أو بلد أو سوق؛ فيجب أن لا تستصغر منهم أحداً، فإنك لا تدري لعله خير منك، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك، لأن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها، ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى.

وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم، فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم، ثم حرم ما عندهم، وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة، فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك في عداوتهم، ويطول عناؤك معهم.

ولا تركز إليهم في حال إكرامهم إياك وثنائهم عليك في وجهك، وإظهارهم المودة لك، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً، ولا تطمع أن يكونوا لك في العن والسر واحداً، ولا تتعجب إن ثلبوك في غيبتك، ولا تغضب منهم؛ فإنك إن أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك بل في أستاذك ووالديك، فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافهم به، فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم، فإن الطامع - في الأكثر - خائب في المال، وهو ذليل لا محالة في الحال.

وإذا سألت واحداً حاجة فقضاها، فاشكر الله تعالى واشكره، وإن قصر فلا تعاتبه، ولا تشكبه فتصير عداوةً. وكن كالمؤمن يطلب المعاذير، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب. وقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه، ولا تعظن أحداً منهم مالم تتوسم فيه أولاً مخايل القبول وإلا لم يستمع منك، وصار خصماً عليك، فإذا أخطؤوا في مسألة، وكانوا يأنفون من التعلم منك، فلا تعلمهم، فإنهم يستفيدون منك علماً، ويصبحون لك أعداءً، إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم، فاذا ذكر الحق بلطف من غير عنف. وإذا رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي حببك إليهم. وإذا رأيت منهم شراً فكلهم إلى الله تعالى، واستعد بالله من شرهم، ولا تعاتبهم، ولا تقل لهم: لم لم تعرفوا حقي وأنا فلان بن فلان، وأنا

الفاضل في العلوم ؟ فإن ذلك من كلام الحمقى، وأشد الناس حماقة من يزكي نفسه ويثني عليها.

واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك إلا بذنب سبق منك، فاستغفر الله من ذنبك، واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى لك.

وكن فيما بينك وبينهم سميعاً لحقهم، أصم عن باطلهم، نطوقاً بمحاسنهم، صموتاً عن مساوئهم.

واحذر مخالطة متفهمة الزمان، لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال، واحذر منهم فإنهم يترَبِّصون بك لحسد هم ريب المنون، ويقطعون عليك بالظنون، ويتغامزون وراءك بالعيون، ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم، حتى يَجْبَهُوك بها في حال غيظهم ومناظرتهم، لا يقلون لك عثرة، ولا يغفرون لك زلة، ولا يسترون لك عورة. يحاسبونك على النقير والقطمير، ويحسدونك على القليل والكثير، ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة، والبلاغات والبهتان، إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب، وباطنهم ذئاب.

هذا حكم ما قَطَعَتْ به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى، فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان.

هذا حكم من يظهر لك الصداقة، فكيف من يجاهرك بالعداوة ؟ قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى:

فاحذر عدوك مرة      واحذر صديقك ألف مرة  
فلربما انقلب الصديق      قُ فکان أعرفَ بالمضرة

وكذلك قال ابن تمام:

عدوك من صديقك مستفادٌ      فلا تستكثرنَّ من الصَّحَابِ  
فإن الداء أكثر ما تراه      يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي:

لما عفوتُ ولم أحقد على أحد  
أرحت نفسي من همّ العداوات  
إني أحبي عدوي عند رؤيته  
لأدفع الشر عني بالتحيات  
وأظهر البشرَ للإنسان أبغضه  
كأنه قد ملا قلبي مسرات  
ولست أسلم ممن لست أعرفه  
فكيف أسلم من أهل المودات  
الناس داء دواء الناس تركهم  
وفي الجفاء لهم قطع الأخوات  
فسالم الناس تسلم من غوائلهم  
وكن حريصاً على كسب المودات  
وخالق الناس واصبر ما بليت بهم  
أصمَّ أبكمَ أعمى ذا تقيات

وكن أيضاً كما قال بعض الحكماء: الق صديقك وعدوك بوجه  
الرضا، من غير مذلة لهما ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر،  
وتواضع من غير مذلة، وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا  
طرفي قصد الأمور ذميم، كما قيل:



عليك بأوساط الأمور فإنها طريق إلى نهج الصراط قويم  
ولا تك فيها مُفْرِطاً أو مُفْرَطاً فإن كِلَا حال الأمور ذميم  
ولا تنظر في عِطْفَيْكَ، ولا تكثر الالتفات إلى ورائك، ولا تقف  
على الجماعات، وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك  
أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال  
أصابعك في أنفك، وكثرة بُصَاقِكَ وتَنخُّمِكَ، وطرد الذباب عن  
وجهك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس، وفي الصلاة  
وغيرها.

وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظوماً مرتباً. واصغ إلى الكلام  
الحسن ممن حدّثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله  
إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، ولا تحدث عن  
إعجابك بولدك وشِعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك.

ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد،  
وتوقّ كثرة الكحل والإسراف في الدهن.

ولا تلحّ في الحاجات، ولا تشجع أحداً على الظلم، ولا تُعلم أحداً  
من أهلك وولدك - فضلاً عن غيرهم - مقدار مالك، فإنهم إن رأوه  
قليلاً هُنَّت عليهم، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط واجفهم من  
غير عنف، وإن لهم من غير ضعف، ولا تهازل أمتك ولا عبدك،  
فيسقط وقارك من قلوبهم.

وإذا خاصمت فتوقّر، وتحفظ من جهلك وعجلتك، وتفكر في  
حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تكثر الالتفات إلى مَنْ  
وراءك، ولا تجث على ركبتك.

وإذا هدا غضبُك فتكلم، وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان. وإياك وصديق العافية، فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرْضِك]. اهـ

## 9- سلوكه مع غير المسلمين:

أولاً: ليعلم الناشئ أن من يدين بغير الإسلام دينهم باطل، وهم كفار وأن ملل الكفر ملة واحدة وإن تعددت من حيث بطلان ما هم عليه وإن حسنت أخلاقهم وصلحت معاملتهم مع الآخرين.

ثانياً: ليعلم أن هؤلاء أعداء الله وأعداء رسوله لكفرهم بالله ورسوله أو كفرهم بالرسول عليه الصلاة والسلام قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، وسلوكه مع هؤلاء يتلخص في الآتي:

1- عدم محبتهم أو موالاتهم لقوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون).

2- بغضهم ونصب العداوة لهم والتبري منهم، لأن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، قال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير).

3- أن لا يستحسن شيئاً من دينهم ولا يرضى به لأن الرضى بالكفر كفر.

ومع هذا كله فلا يجوز للمسلم أن ينتهك حرمتهم، ولا يسفك دماءهم، ولا يستحل أموالهم إلا إذا كانوا أهل حرب بأن حاربوا المسلمين أو استباحوا أرضهم أو بيضة المسلمين فيجب حربهم ونصرة إخواننا المسلمين.

وإذا كان بيننا وبينهم ذمة أو أمان أو معاهدة يجب الوفاء بها، وإذا تعاملنا معهم وجب علينا الالتزام نحوهم بالمعاملة الحسنة والوفاء بالوعد وعدم الغش لهم في هذه المعاملة لأن الإسلام يحرم ما حرمة من المعاملات مع المسلم وغيره.

### ثانياً: - سلوكه مع جوارحه وقلبه:-

ليعلم الناشئ أن الجوارح التي وهبها الله إياها من أجل نعم الله عليه بعد الإيجاد والإسلام والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، فيها يتحقق كمال الإيمان أعني بسلوكه مع جوارحه إذا صرف هذه الجوارح في مرضات الله تعالى واستعملها فيما خلقت لأجله من الطاعة والتقرب مع إخلاص العمل وخلص النية لله والتي محلها القلب الذي إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد الجسد كله.

وليعلم أنه إذا صرف هذه الجوارح فيما خلقت لأجله من الطاعات والمبرات فقد أدى شكر النعمة وأرضى ربه.

وليعلم أيضاً أن القلب هو الأساس في صلاح الإنسان وفساده كما تقدم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

والحاصل أن تقرب الإنسان إلى ربه يكون بقلبه وعمل جوارحه حتى يترقى ويصبح من أولياء الله الصالحين فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته" رواه البخاري.

فمن أجل ذلك يجب على الناشئ المحافظة على جوارحه، وصونها من الوقوع فيما يغضب الله عز وجل، وخاصة أن أعداء الله في هذه الأيام تفتنوا في كون المؤمن يعرض بقلبه وجوارحه عن ربه وأوامره، فكم من ساعات تمر على الإنسان وهو غافل لاه عن الله تعالى، وخاصة في مشاهدة قنوات الخنا والانحطاط، حتى عزف الناشئ عن الآداب الفاضلة والصفات المستقيمة، كل ذلك بتأثير ما يشاهده ويطالعه في شتى الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة منها، فالخطب على الناشئة جسيم، والتخطيط لانحطاط أخلاقهم عظيم، والسير في انحرافهم من قبل الأعداء خطاه سريعة، ولا بد من الانتباه لذلك، وتحصين الناشئ لنفسه وحفظ دينه ومروءته، وقربه من مولاه تعالى، لذا نترك المجال للإمام الحداد رضي الله عنه في التحدث عن حفظ القلب

والجوارح وكيفية حفظها وسير السلوك معها من كتابه النصائح فقد أفاد وأجاد وأتى بالمطلوب لكل من قرأ وتدبر وتفهم فقال رضي الله عنه: [واعلموا معاشر الإخوان - جعلنا الله وإياكم ممن صلحت سريرته وعلانيته، واستقام باطنه وظاهره على اعتقاد الحق والعمل به - أن من أهم المهمات على كل مؤمن: مراقبة قلبه وجوارحه ومراعاتهما، وبذل الجهد في حفظهما وكفهما عن مساخط الله ومكارهه، واستعمالهما بمحاب الله ومراضيه، وقد قال تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا).

والقلب والجوارح من أعظم نعم الله على عباده؛ فمن استعملها بطاعته وزينها بمحابه، وصرف كلاً منها فيما خلق له فقد شكر النعمة، وحفظ الحرمة، وأحسن الخدمة، وله عند الله جزاء الشاكرين وثواب المحسنين (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً)، ومن أرسل قلبه وجوارحه في مخالفة الأمر، وأهملها وأضاعها، ولم يحفظها، فقد كفر نعمة الله فيها، واستوجب الذم والعقوبة من الله بسببها، وستشهد عليه بين يدي الله بما عمل بها من معاصي الله، كما قال تعالى: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)، وقال تعالى: (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون).

أما القلب فهو رئيس الجوارح وأميرها، وعليه يدور صلاحها وفسادها، كما قال عليه الصلاة والسلام: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

وأما الجوارح فنعني بها الأعضاء السبعة: العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل.

فأما العين فهي نعمة عظيمة من الله على عبده، وقد خلقها له لينظر بها في عجائب مصنوعاته في أرضه وسماواته، فيزداد بذلك معرفة ويقيناً بربه، وطاعة وخدمة له. وليهتدي بها في الظلمات، ويستعين بها على الحاجات، فإن استعملها فيما خلقت له كان من المطيعين الشاكرين، وإن أطلقها وأرسلها فيما حرم الله عليه من النظر إلى النساء الأجانب والصور الجميلة بباعث الشهوة، فقد عصى وتعرض للعقاب والبلاء. فليحذر المؤمن من ذلك كل الحذر، ومن النظر إلى أحد من المسلمين بعين الاستصغار والاحتقار والاستخفاف، ومن التطلع إلى عورات المسلمين وعيوبهم.

وكذلك ينبغي له أن لا يكثر النظر إلى شهوات الدنيا ومباحاتها التي تدعو النفس إلى الرغبة فيها، فإن ذلك ربما فرق القلب، وأقبل به على عمارة الدنيا وجمع حطامها، والإعراض عن الآخرة وترك الاستعداد لها؛ فحفظ النظر عن ذلك مهم ومتأكد، سيما على المتوجهين المقبلين على الله والدار الآخرة.

وأما النظر إلى المحرمات - من النساء الأجنبية، والصور المشتبهات التي لا تحل - فذلك محرم شديد التحريم، قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم). وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها مخافة من الله أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه"، وقال عيسى عليه السلام: النظرة تزرع في القلب شهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة.

وأما الأذن فهي من أعظم النعم، وقد خلقت للعبد ليستمع بها كلام ربه وسنة نبيه، وكلام العلماء والحكماء من صالح عباد الله، فيستفيد بذلك سلوك سبيل مرضاة الله، وينتفع بها في معاشه الذي يستعين به على معاده - أعني الأذن - فإن أصغى بها إلى استماع ما حرم الله عليه: من كذب وغيبة وكلام قبيح فقد كفر النعمة ولم يشكرها، لأنه قد استعملها في غير ما خلقت له.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: ولا تظنن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع، فإن المستمع شريك القائل، وهو أحد المغتابين انتهى. فالمستمع إلى الخير شريك في ثوابه، والمستمع إلى الشر شريك في إثمه والله أعلم.

وأما اللسان فهو من أعظم نعم الله على عبده، وفيه خير كبير، ونفع كثير لمن حفظه واستعمله فيما خلق له، وفيه شر كثير، وضرر عظيم لمن أضاعه واستعمله في غير ما خلق له. وقد خلقه الله تعالى للعبد ليكثر به من ذكره وتلاوة كتابه، ولينصح به عباده ويدعوهم به إلى طاعته، ويعرفهم ما يجب عليهم من عظيم حقه، وليظهر به ما في ضميره من حاجات دينه ودنياه. فإن استعمله بذلك كان من الشاكرين، وإن أشغله واستعمله بخلاف ما خلق له كان من الظالمين المعتدين.

ثم إن أمر اللسان مهم جداً، وهو أغلب أعضاء العبد عليه، وأقواها في سياقته إلى الهلاك إن لم يضبطه ويكفه عما حرم الله عليه.

وفي الحديث: "وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". وقال عليه الصلاة والسلام: "من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت". وقال عليه الصلاة والسلام: "رحم الله امرأً قال خيراً فغنم، أو سكت عن شر فسلم". وقال عليه الصلاة والسلام: "من صمت نجاً"، وقال عليه الصلاة والسلام: "كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكراً لله أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر". وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم لقاءه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها في النار سخطه إلى يوم يلقاه". وفي الحديث الآخر: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار أبعد من الثرياً".

فخطر اللسان عظيم، وأمره مخوف، ولا ينجو منه إلا بالصمت وترك النطق إلا عند الحاجة بقدرها، ويكون له في تلاوة كتاب الله وفي الإكثار من ذكر الله شغل شاغل عن الخوض في الباطل، وفيما لا يعنيه من الكلام.

ومن أعظم آفات اللسان: الكذب، وهو الإخبار بغير الواقع، سواء أثبت به منفياً كأن يقول: وقع كذا لما لم يقع، أو نفى به ثابتاً كأن يقول: لم يقع كذا لما قد وقع. وإثم الكذب عظيم، وهو مناقض للإيمان، وصاحبه متعرض بسببه لِلْعَنَةِ الرَّحْمَنِ، قال الله تعالى: (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)، وقال الله تعالى: (فنجعل لعنة الله على الكاذبين)، وقال عليه الصلاة والسلام: "من أراد أن يلعن نفسه فليكذب". وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"، وسئل عليه الصلاة والسلام: أيكذب المؤمن؟



فقال: "لا، إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله.."  
الحديث.

ومن أعظم آفات اللسان: الغيبة، وهي ذكرك أخاك المسلم في غَيْبَتِهِ بما يكره لو سمعه، وسواء ذكرته بنقص في دينه أو بدنه أو أهله وولده، حتى مشيته وثوبه وسائر ما يتعلق به، وسواء في ذلك النطق باللسان والكتابة والإشارة باليد كذلك قال العلماء رحمهم الله مثل الإمام الغزالي والإمام النووي وغيرهما.

والغيبة محرمة شديدة التحريم، قال الله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) فشبه الله تعالى المغتاب الظالم بأكل لحم أخيه المسلم ميتاً، وناهيك بذلك زمناً وزجراً عن الغيبة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"، وقال عليه الصلاة والسلام: "الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل أن ينكح الرجل أمه، وأن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم". وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبك من صفة كذا وكذا! قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة. فقال عليه الصلاة والسلام: "لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته" أي لو خلطت بماء البحر لغيرته وأنتنته من فحشها وقبحها. وقالت امرأة: ما أطول ذيل فلانة! فقال عليه الصلاة والسلام: "الْفُظِي..الْفُظِي" فأخرجت من فمها قطعة لحم، فصارت بهذه الكلمة الواحدة الغريبة آكلة من لحمها. فانظروا عباد الله ما أفحش الغيبة وأقبحها! وما أهون الوقوع فيها على الناس إلا من رحم الله، وقليل ما هم!

واعلم أن من الواجب عليك إذا رأيت من أخيك المسلم عيباً أو نقصاً يمكنك إزالته: أن تذكر له ذلك في الخلوة على سبيل النصيحة، فإن عجزت عن ذلك، أو لم توفق له فذلك نقص فيك، فلا تجمع إليه نقصاً آخر أقبح منه، وهو أن تهتك ستره وتذكر عيوبه للناس في غيبته، فتجمع على نفسك مصيبتين، وتجرّ إليها بليّتين.

ومن آفات اللسان: النميمة، وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض، يقصد بذلك الإفساد والفتنة بينهم؛ قال الله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين. هـماز مشاء بنميم). وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة قتّات" وهو النمام. وقال عليه الصلاة والسلام: "شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". وقال عليه الصلاة والسلام: "إن النميمة والحقد في النار، لا يجتمعان في قلب مسلم"، وقال عليه الصلاة والسلام: "ليس مني ذو حقد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه" ثم تلا: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية. وقال بعض السلف الصالح رحمهم الله: لا يكون النمام إلا ولد زنا.

ومن أقبح أنواع النميمة وأفحشها: ما كان منها إلى السلاطين والولاة ونحوهم، وتسمى السعاية. يقصد بها صاحبها إغراء الوالي بإيذاء من سعى به إليه، وأخذ ماله، وجلب الشر له، وإثمها عظيم، مضاعف على إثم النميمة التي تكون بين عامة الناس.

ومن آفات اللسان: شتم المسلم وسبه في الوجه؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم: "سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر"، وقال عليه الصلاة والسلام: "المتسابان شيطانان يتهاثران ويتكاذبان". وقال عليه الصلاة والسلام: "من الكبائر السّبّتان بالسبّة".

ومن آفات اللسان: السخرية بالمسلم، والاستهزاء به، والضحك عليه استخفافاً واحتقاراً له، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن) الآية. وقال عليه الصلاة والسلام: "بِحَسْبِ امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم".

ومن آفات اللسان: اليمين الفاجرة، وشهادة الزور، واللعن، وقولك للمسلم يا كافر، والقطع بالشهادة على أحد من أهل القبلة بكفر أو بدعة أو فسق من دون أن يتحقق ذلك يقيناً، والدعاء على المسلمين بالشر، والوعد الكاذب، وكلام ذي الوجهين، وسائر الكلام القبيح، والقول الفاحش الذي يستحيا منه، والمراء والجدال، ومنازعة الناس في الكلام، وكثرة الخصومة، والخوض فيما لا يعني. وقد وردت في ذم جميع ذلك الآيات والأخبار الكثيرة الشهيرة. فعلى المؤمن الناظر لنفسه، الشفيق على دينه: أن يكون كما قال عليه الصلاة والسلام: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".

وآفات اللسان كثيرة وقد عدّ الإمام حجة الإسلام منها عشرين آفة في كتاب آفات اللسان من الإحياء، وأشبع الكلام في ذلك على ما يليق بجلالة قدره وسعة علمه، فَرَضِيَّ اللهُ عَنْهُ وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

وأما البطن فحفظه وضبطه من أهم المهمات، وذلك بكفه عن الحرام والشبهات، ثم عن فضول الشهوات، وعن الشبع من الحلال.

فأما الحرام والشبهات فقد تقدم الكلام عليهما في باب الورع.

وأما التوسع في الشهوات والإكثار من الشبع، فذلك مكروه، وفيه آفات كثيرة ومضرات عديدة: ومنها قسوة القلب، وكسل الأعضاء عن الطاعة، وقلة نشاطها للعبادة، وقلة الفهم للعلم والحكمة، وقلة الرحمة والشفقة على ضَعْفَةِ المسلمين وأهل الحاجة منهم. ويخشى من ذلك - أعني الاتساع في أكل الشهوات وكثرة الشبع - الوقوع في اقتحام الشبهات بل والمحرمات.

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى: الشبع من الحلال أصل كل شر، فكيف من الحرام! انتهى. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه". وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "شرار أمتي الذين غُذوا بالنعيم، وبنيت عليه أجسامهم، وإنما همة أحدهم ألوان الطعام وألوان الثياب، ويتشددون في الكلام". وقال عليه الصلاة والسلام: "أطول الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة".

وقال علي كرم الله وجهه: من كان همه ما يدخل بطنه كان قيمته ما يخرج منها. فعلى المؤمن أن يكف نفسه عن الشهوات عفة وقناعة، وزهادة في الدنيا، وإذا أكل فليقتصر على ما دون الشبع عفة، وليأكل ما وجد من الحلال من غير قصد لما كان أذً وأوفق للطبع. وإن تحرّى الأخشن الأدنى كان أقرب للتقوى، وأقلّ للكلفة، وأبعد عن الشهوات، وأشبه بهدي السلف الصالح. وقد كان أكثر طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشعير، وكان يُعجن ويخبز له منه من غير أن ينخل فإن المناخل حادثة. وكان

يمكث هو وأهله عليه الصلاة والسلام الأشهر على التمر والماء،  
لا توقد لهم نار لطعام ولا لغيره.

وعلى المؤمن إذا أكل أن يأكل بالأدب، واتباع السنة في ذلك:  
من التسمية عند الابتداء، والحمد لله في الآخر. ويأكل بنية  
الاستعانة على طاعة الله، والتقوي على عبادته، إلى غير ذلك من  
الآداب التي وردت بها الأخبار.

وأما الفرج فحفظه مهم، وأمره مخطر، وقد أثنى الله في كتابه  
على المؤمنين من عباده فقال في أثناء وصفهم: (والذين هم  
لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم  
غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون).  
وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الناس النار  
فقال: "الأجوفان: الفم والفرج"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من  
وقاه الله شر ما بين لحيئيه ورجليه دخل الجنة".

فعليك أيها المؤمن بحفظ فرجك واستعن على ذلك بحفظ قلبك  
عن التفكير فيما لا يحل لك، وبحفظ بصرك عن النظر إلى ما لا  
يجوز لك النظر إليه، وفي الحديث: "العين ترى، والنفس تتمنى،  
والفرج يُصدّق ذلك أو يكذبه".

وتباعد كل البعد واحذر كل الحذر من الزنا ومن اللواط، فإنهما  
من الفواحش المهلكة والكبائر الموبقة، وقد حرمهما الله تحريماً  
شديداً، ونهى عنهما نهياً أكيداً فقال تعالى: (ولا تقربوا الزنا إنه  
كان فاحشة وساء سبيلاً). وقال تعالى: (والذين لا يدعون مع الله  
إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون  
ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخذل

فيه مهانا. إلا من تاب وآمن) الآية. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن". وقال عليه الصلاة والسلام: "المقيم على الزنا كعابد وثن". وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الزناة يأتون تشتعل فروجهم ناراً" أي يأتون يوم القيامة. وقال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومالك كذاب، وعائل مستكبر"، وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الزنا يجلب الفقر".

وورد: "أنه يأتي على أهل الموقف ريح منتنة تؤذي كل برّ وفاجر غاية الأذى. فيقال لهم: هذه رائحة فروج الزناة". وفي الحديث الصحيح: أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى الزناة والزواني في مثل التنور، يأتيهم لهب النار من أسفله فيصيحون ويرتفعون. وذلك من أنواع تعذيب الله إياهم في البرزخ. وقال الله تعالى في ذكر إهلاكه قوم لوط، حين عملوا بالفاحشة وأصروا عليها: (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود. مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد)، قيل في بعض التفاسير: وما هي ببعيد من الظالمين الذين يعملون بعملهم. وبلغنا أن رجلين كانا يعملان هذه الفاحشة الخبيثة في بيت، ومن فوق سقفه حجر من الحجارة التي أرسلت إلى قوم لوط، فخرق الحجر السقف ووقع عليهما فأهلكهما، فبلغ ذلك بعض السلف فقال: صدق الله (وما هي من الظالمين ببعيد). وقال عليه الصلاة والسلام: "أخوف ما أخاف على أمتي: عمل قوم لوط". وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سماوات". وردد اللعنة على واحد منهم ثلاثاً، ولعن كل واحد لعنة تكفيه، قال: "ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من ذبح

لغير الله، ملعون من أتى شيئاً من البهائم، ملعون من عقّ والديه، ملعون من جمع بين المرأة وبناتها، ملعون من غير حدود الأرض، ملعون من ادعى إلى غير مواليه".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله"، قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: "المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال".

وما ورد في تحريم الزنا واللواط، وفي عقوبة مرتكبهما كثير شهير، وحسبك بهما قبحاً وتحريماً ونكالاً، ما رتب الله عليهما في الدنيا قبل الآخرة من الحد والعقوبة. وبيان ذلك: أن الزاني والزانية مهما قامت عليهما البينة بالزنا فإن كانا بكرين جلدًا مائة، وغُرِّبَا عن أوطانهما عاماً. وإن كانا مُحْصَنَيْنِ رُجِمَا بالحجارة حتى يموتا. وإن كان أحدهما محصناً والآخر بكراً، كان لكل واحد حكمه. وأما اللواط فحده كحد الزنا على القول الصحيح، وفي قول يقتل الفاعل والمفعول به. وقد ورد به الحديث: وفي بعض الأقوال أنهما يحرقان بالنار - نسأل الله العافية من كل بلية.

وأما إتيان البهيمة - فهو من العظائم؛ وفاعله ملعون كما في الحديث المتقدم. وفي الحديث الآخر: "من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوها".

وأما الاستمناء باليد فهو قبيح مذموم، وفيه آفات وبلبات كثيرة، وقد يبتلئ به بعض الناس، فليتنق ويحذر! وفي بعض الأحاديث: "لعن الله من نكح يده". وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "أهلك الله

أمة كانوا يعبثون بفروجهم". اللهم يا عليم يا خبير، طهر قلوبنا من النفاق، وحصن فروجنا من الفواحش، والطف بنا والمسلمين.

وأما اليدان فعليك ببسطهما في الصدقات، وإعانة المسلمين في الحاجات، وفي كتابة العلم والحكمة، وفي اكتساب الحلال بنية الاستعانة على الدين، واحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً أو تؤذيه بغير حق، أو تأخذ بهما مالا يجوز لك أخذه من أموال المسلمين، كالأخذ بالظلم والخيانة، والمعاملات الفاسدة.

وأما الرجلان فإياك أن تمشي بهما إلى حرام أو معصية، أو إعانة على باطل، أو إلى باب سلطان ظالم، أو إلى لهو ولعب، ومالا خير فيه ولا نفع، ولا تمش بهما إلا إلى الخيرات والصالحات. مثل طلب العلم النافع والسعي إلى المساجد لإقامة الصلوات في الجماعات، والعمل بوظائف العبادات، ومثل زيارة الإخوان في الله، وقضاء حوائج المسلمين وإقامة حقوقهم من عيادة المرضى وتشجيع الجنائز، ونحو ذلك من أعمال البر وأفعال الخير.

وبالجملة فجوارحك من أعظم نعم الله عليك، وقد خلقها لك لتستعين بها وتسعى بها إلى طاعته، فإن استعملتها فيما خلقت له من الطاعات والموافقات فقد شكرت وصرت من المحسنين، وإن استعملتها في غير ما خلقت له من المعاصي والمخالفات فقد كفرت نعمة ربك، وخنته في أمانته التي ائتمنك عليها فإذا علمت ذلك وعرفته فاعلم أن الصفات المذمومة في القلب أمراض له، وقد تؤديه إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، فلا غنى للمؤمن عن علاج قلبه ولا بد له من السعي في تحصيل الصحة والسلامة له، فإنه لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم.



وإذا عرفت أن صفات القلب المذمومة والمحمودة كثيرة، والنظر فيها يطول، وقصدنا الاختصار والإيجاز، وقد أحلنا في طلب الاستقصاء في ذلك على ما شرحه حجة الإسلام في الإحياء، ولكننا ننبه بكلام قريب على شيء من المهلكات التي يجب تزكية القلب عنها، وعلى شيء من المنجيات التي يجب تحلية القلب بها، ونقتصر من جملة ذلك على ما يعم وجوده، ويغلب وقوعه، وتشتد الحاجة إليه.

فأول ذلك أنه يجب على الإنسان أن يزكي قلبه، ويظهره من رذيلة الشك في الله ورسوله والدار الآخرة، فإن ذلك من أعظم أمراض القلوب المهلكة في الآخرة، والتي تضر ضرراً عظيماً، خصوصاً عند الموت، وقد تؤدي والعياذ بالله إلى سوء الخاتمة، وهذا الشك قد يُبتلى به بعض الناس. فلا يجوز لمن وجد شيئاً من ذلك أن يضمه في نفسه، ويَطْوِيَهُ في قلبه، فيلقى الله شاكاً، بل يجب عليه أن يجتهد في إزالة ذلك، ويسعى في نفيه عنه بكل ما يمكنه.

وأفنع الأشياء في إزالته سؤال العلماء بالله تعالى وبدينه أهل اليقين والخشية والزهد في الدنيا، فإن لم يصادف واحداً منهم فليُنظر في كتبهم التي ألفوها في علوم التوحيد واليقين. ولست أعني بالشك ما يجده الإنسان من الخواطر والوساوس في أمور الإيمان بما يعلم بطلانه، ويجد قلبه مصمماً على خلافه، ونفسه كارهة له ونافرة عنه، فإن ذلك هو الوسوسة، ويكفي الإنسان فيها أن يكرهها ويعرض عنها ويستعيذ بالله منها.

ومن أعظم أمراض القلوب وصفاتها المهلكة الكِبْرُ وهو من صفات الشياطين، قال تعالى في إبليس اللعين: (أبى واستكبر وكان من الكافرين). والمتكبر بغیض إلى الله تعالى؛ كما قال تعالى: (إنه لا يحب المستكبرين. إن الله لا يحب كل مختال فخور). والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبرين، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه؛ كما قال تعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار). والمتكبر مصروف عن آيات الله، كما قال تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار"، وقال عليه الصلاة والسلام: "يُخْشَرُ المتكبرون يوم القيامة مثل الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان" الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام: "من تعاضم في نفسه، واختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان"، وقال عليه الصلاة والسلام: "بينما رجل ممن كان قبلكم يجرُّ إزاره من الخيلاء إلا خسف الله به الأرض؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة"، وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كِبْرٍ" فقال رجل يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة! فقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - يعني رده - وغمط الناس" يعني احتقارهم وازدراءهم. فمن تعاضم في نفسه وأعجب بها، واحتقر الناس واستصغرهم فهو المتكبر الممقوت.

والكبر إنما يكون في القلب، ولكن تكون له علامات في الظاهر تدل عليه، فمنها: حب التقدم على الناس، وإظهار الترفع عليهم، وحب التصدر في المجالس، والتبختر والاختيال في المشية، والاستنكاف من أن يُرَدَّ عليه كلامه وإن كان باطلاً، والامتناع من

قبول الحق، والاستخفاف بضعفة المسلمين ومساكينهم. ومنها: تزكية النفس والثناء عليها، والفخر بالآباء من أهل الدين والفضل، والتبجح بالنسب، وذلك مذموم ومستقبح جداً، وقد يُبتلى به بعض أولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ولا معرفة بحقائق الدين.

ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهب بركتهم عنه، لأنهم ما كانوا يفتخرون ولا يتكبرون على الناس، ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لا أغني عنكم من الله شيئاً، اشتروا أنفسكم من النار..". الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: "لا فضل لأحمر على أسود، ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله، أنتم من آدم وآدم من تراب". وقال عليه الصلاة والسلام: "لينتهين أقوام عن الفخر بأبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان". فالفضل والكرم بالتقوى لا بالنسب؛ كما قال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، ولو أن الإنسان كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدتهم، ثم تكبر على الناس وافتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته، فكيف بالجاهل المخطئ الذي يتكبر على الناس بتقوى غيره وصلاح غيره من آبائه وأجداده! فهل هذا إلا جهل عظيم وحمق فظيع؟! وإن الخير كله في التواضع والخشوع والخضوع لله. قال عليه الصلاة والسلام: "من تواضع رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله". وإن حب الخمول والاختفاء، وكرهية الشهرة والظهور، لمن أخلاق صالحى المؤمنين. والرضا بالدون من المجلس، ومن اللباس والطعام وسائر أمتعة الدنيا كذلك أيضاً؛ فاحرص أيها المؤمن على ذلك.

ومن أعظم المهلكات الرياء. وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشرك الأصغر، والشرك الخفي، ومعنى الرياء: طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة، كالذي يصلي ويصوم، ويتصدق ويحج، ويجاهد ويقرأ القرآن، ليعظمه الناس لذلك ويكرمونه أو يعطوه من أموالهم، فذلك هو المرئي، وعمله مردود، وسعيه خائب، سواء فعل له الناس ما أمّله منهم أو لم يفعلوه له، وقد قال تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)، وقال تعالى: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب)، وقال تعالى: (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون).

وقال عليه الصلاة والسلام: "يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ونصيبي لشريكي"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من صام يرئى فقد أشرك، ومن صلى يرئى فقد أشرك، ومن تصدق يرئى فقد أشرك"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه، ومحق ذكره، وأثبت اسمه في النار"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من أحسن الصلاة حيث يراه الناس، وأساء الصلاة حيث يخلو، فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى".

فالرياء مهلك وخطره عظيم، والاحتراز منه واجب مهم، وأشد أنواعه: أن يتجرد باعث الرياء في العبادة، بحيث يصير أول ما يقصده الناس، ويصير حريصاً على اطلاعهم ونظرهم إليه، ولم يجد باعثاً على العمل غير ذلك أصلاً، ودون ذلك: أن يقصد بعمله التقرب إلى الله تعالى وطلب ثواب الآخرة، مع مراعاة الناس

وطلب المحمدة عندهم والمنزلة، وهذا قبيح محبط للثواب، والذي قبله أقبح وأحبط وأخطر، ولا يخلو صاحبه من الإثم والعقاب.

فعلى المؤمن أن يجتهد في دفع الرياء عن نفسه، وأن لا يكون له نية ولا قصد في جميع طاعاته وعبادته إلا التقرب إلى الله وطلب ثواب الآخرة، فبذلك يخلص من الرياء، ويسلم من شره وبليته إن شاء الله تعالى. ومهما خاف على نفسه الرياء فليخف أعماله ويفعلها في السر، حيث لا يطلع عليه الناس، فذلك أحوط وأسلم، وهو أفضل مطلقاً - أعني العمل في السر حتى لمن لم يخف على نفسه الرياء - إلا للمخلص الكامل، الذي يرجو إذا أظهر العمل أن يقتدي به الناس فيه، ثم ومن الأعمال ما لا يتمكن الإنسان من فعله إلا ظاهراً؛ كتعلم العلم وتعليمه، وكالصلاة في الجماعة والحج والجهاد، ونحو ذلك. فمن خاف من الرياء حال فعله شيئاً من هذه الأعمال الظاهرة، فليس ينبغي له أن يتركه، بل عليه أن يفعله، ويجتهد في دفع الرياء عن نفسه، ويستعين بالله تعالى، وهو نعم المولى ونعم المعين.

ومن المهلكات: الحسد للمسلمين، ومحبة الشر لأحد منهم، وإضرار العداوة والغش والحقد لهم، وقلة الرحمة بهم والشفقة عليهم، وسوء الظن بهم؛ فكل ذلك من الصفات المهلكة.

أما الحسد فحسبك به ذماً وقبحاً أن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان فقال تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد)، وقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"، وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد" وهذا شديد

فتأمله. وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا..". الحديث.

ومعنى الحسد: أن يجد الإنسان في صدره وقلبه ضيقاً وحرماً، وكرهية لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده في دينه أو دنياه، حتى أنه ليحب زوالها عنه، وربما تمنى ذلك وإن لم تصر إليه. وذلك منتهى الخبث. فمن وجد شيئاً في نفسه من هذا الحسد لأحد من المسلمين، فعليه أن يكرهه ويخفيه في نفسه، ولا يظهره بقول ولا فعل؛ فلعله أن ينجو بذلك من شره.

وفي الحديث: "ثلاث لا يخلو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة. أفلا أنبئكم بالمخرج من ذلك، إذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض" أي لا ترجع بسبب الطيرة عن الأمر الذي تريده. وإن عمل الحاسد على ضد ما يتقاضاه الحسد من الثناء على المحسود والسعي في إكرامه ومعاونته، كان له في ذلك فضل، وهذا من أنفع الأدوية في إزالة الحسد أو تضعيفه.

ولا بأس بالغبطة وهي أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي تراها على أخيك من فضل الله. ثم إن كان ذلك من النعم الدينية كالعلم والعبادة كان محموداً، وإن كان من النعم الدنيوية كالمال والجاه المباح كان ذلك جائزاً مباحاً.

وأما حب الشر لأحد من المسلمين، وإضرار الغش والعداوة والحقد فحسبك زاجراً عنه قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من غش المسلمين فليس منهم"، وقال عليه الصلاة

والسلام: "إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل وذلك من سنتي".

وأما قلة الرحمة بالمسلمين والشفقة عليهم فذلك يدل على قساوة القلب، وعلى الفظاظة والغلظة، وكل ذلك مذموم وقبيح، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء، أرحم تُرحم، إنما يرحم الله من عباده الرحماء"، وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تُنزع الرحمة إلا من شقي"، ومن لم يجد في قلبه رحمة وشفقة على جميع المسلمين سيّما على أهل المصائب والبلايا، وأهل الضعف والمسكنة فذلك لقساوة قلبه، وضعف إيمانه، وبعده عن ربه.

وأما سوء الظن بالمسلمين فمذموم قبيح، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله". ومعنى سوء الظن بالمسلمين: أن تظن بهم السوء في أقوالهم وأفعالهم التي ظاهرها الخير، وتظن بهم خلاف ما يظهرون من ذلك هذا غايته.

وأيضاً أن ينزل أفعالهم وأقوالهم التي تحتل الخير والشر على جانب الشر، مع إمكان تنزيلها على جانب الخير، فذلك من سوء الظن أيضاً، ولكنه دون الأول. وحسن الظن بالمسلمين خلاف ذلك كله، فما كان من أفعالهم وأقوالهم ظاهره الخير حملته على الخير أو ظننت فيهم الخير. وما كان من الأقوال والأفعال يحتل الخير وغيره نزلته على الخير، فاعمل على ذلك جهدك واستعن بالله تعالى. والله ولي التوفيق] اهـ بتصريف.

### ثالثاً:- سلوكه مع عمود الإسلام وهو الصلاة:

أولاً: ليعلم الناشئ أن الصلاة هي ركن الإسلام الثاني، وهي عمود الإسلام لعظيم شرفها، ورفيع منزلتها، فرضها الله تعالى في السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع، فإذا هي عروج بروح العبد إلى ربه أثناء صلاته لملاحظة مكان مشروعيتها.

ثانياً: ليعلم الناشئ أن الحكمة من مشروعية الصلاة هو التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى، ومناجاته بالقراءة والدعاء واستعمال الجوارح في خدمته تعالى.

ثالثاً: ليعلم أن الصلاة تقوم الإنسان أي تحمّله على الاستقامة وتنهاه عن المعصية قال تعالى: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).



رابعاً: ليعلم الناشئ ويعتقد أن الله تعالى فرض على عباده خمس صلوات في كل يوم وليلة، وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، قال الله تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي فرضاً موقوتاً بالأوقات المخصوصة.

خامساً: ليعلم الناشئ أن الله أمرنا بإقامة الصلاة أي بالمحافظة عليها، وإذا أردت أن تحافظ على الصلاة وتداوم عليها فاحرص على هذه الأمور:

(1) كمال الطهارة والاحتياط بها في البدن والثوب والمكان، قال عليه الصلاة والسلام: "الطهور مفتاح الصلاة".

(2) فعل الصلاة في أول وقتها، وفي ذلك فضل عظيم، وهو دليل على محبة الله، وعلى المسارعة في مرضاته، وقد سئل عليه الصلاة والسلام: أي الأعمال أفضل؟ فقال: "الصلاة لأول وقتها"، وقال أيضاً: "أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله وإن العبد ليصل الصلاة ولم يخرجها من وقتها ولما فاته من أول الوقت خير له من الدنيا وما فيها".

(3) حسن الخشوع فيها، وحضور القلب، وتدبر معانيها، والتواضع لله تعالى عند الركوع والسجود، وامتلاء القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وفي سائر أجزاء الصلاة، ومجانبة الأفكار والخواطر الدنيوية والإعراض عن حديث النفس في ذلك. اهـ من النصائح الدينية بتصرف.

(4) المحافظة على الصلاة في الجماعة، وكونها في المسجد أفضل من غيرها، والمبادرة إلى فعل ذلك وعدم ترك الخروج إلى المسجد لأداء الصلاة، ففضل الجماعة

كبير، وأداؤها في محالها وهي المساجد عظيم، والتخلف عن أداء الجماعة أمر قبيح، حتى قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ولم يبلغنا في جملة ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه صلى منفرداً ولا صلاة واحدة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأيتنا وما يتخلف عنها - يعني صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهادى بين الرجلين من الكبر حتى يقام في الصف. ولما شكى ابن أم مكتوم الأعمى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا قائد له، وذكر له ما بالمدينة يومئذٍ من الآبار والهوام، وبُعد منزله عن المسجد، ليعذره عن المجيء لصلاة الجماعة، فعذره بعد ذكره لهذه الأشياء كلها، فلما قام وذهب دعاه عليه الصلاة والسلام، فلما رجع إليه قال له: "هل تسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح"؟ فقال: نعم، فقال له عليه الصلاة والسلام: "فهلّم هلاً"، يعني بذلك تعال إلى الصلاة فلا عذر لك. اهـ

سادساً: ليعلم الناشئ وليتدبر ما قاله الإمام الغزالي - رحمه الله - في أسرار الصلاة حيث يقول: [اعلم أن لكل واحدة من سنن الصلاة وأذكارها وتسبيحاتها تأثيراً في تنوير القلب، فحافظ عليها جميعاً؛ فإن لكل واحدة منها سرّاً، وشرح ذلك يطول، وأنت إذا أتيت بذلك انتفعت به وإن لم تعلم أسرارها، كما ينتفع شارب الدواء به وإن لم يعرف طبائع أخلاطه ووجه مناسبتة لمرضه.

واعلم في الجملة أن الصلاة صورة صَوَّرها الله تعالى، فروحها: النية وحضور القلب وأعضاؤها الأصلية الأركان، والأعضاء الكمالية: الأبعاض، فالنية تجري منها مجرى الروح، والأركان تجري منها تجرى الرأس والقلب والكبد، والأبعاض تجري مجرى اليد والرجل والعين والأذن، وتحسين الهيئات منها، وإكمال الركوع والسجود تجري بحسن الأعضاء وأشكالها وألوانها، والأذكار والتسبيحات المودعة فيها تجري آلات الحس المودعة في الأعضاء، وفهم معاني الأذكار وأسرارها يجري مجرى قوة الحس المودعة في آلات الحس كقوة السمع والبصر.

ثم اعلم أن تقرُّبك بالصلاة إلى الله سبحانه كتقرب بعض خدم السلطان بإهداء وَصِيفَةٍ إلى السلطان. وقول الفقيه لك في الصلاة الناقصة الأبعاض والسنن: إنها صحيحة، هو كقول الطبيب لك في الوصيفة المقطوعة الأطراف المفقودة العينين المجدوعة الأنف والأذنين: إنها حية غير ميتة. ولكن لا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذا الوصف كيف يكون حاله عند السلطان أ يكون ذلك كافياً في التقرب إلى السلطان، ونيل الكرامة عنده؟ أم هو إلى البعد والطرْد أقرب؟ وفي الحديث: "إن الصلاة قد تُرَدُّ على المصلي فتُلْفُ كما يُلْفُ الثوب الخلق، ويُضربُ بها وجه صاحبها"، لأن المقصود الأصلي من الصلاة التعظيم، وإهمال آدابها مناف له.

ثم اعلم أن روح الصلاة هو حضور القلب فيها واتصاف القلب بمعانيها، فلا تركع ولا تسجد إلا وقلبك خاضع متواضع، موافقة لظاهرك، فإن المراد من خضوع البدن خضوع القلب. وكذلك لا تقل: "الله أكبر" وفي قلبك كبير

غير الله، ولا تقل: "وجهت وجهي" إلا وقلبك متوجه إلى الله غير معرض عنه. فإن المقصود إقبال القلب على الله لا الوجه الظاهر، فإنك إنما وجهت وجهك إلى الكعبة، والذي فطر السماوات والأرض منزّه عن الجهات، ولا تقل: "الحمد لله" إلا وقلبك طافح بشكره، ولا: "إياك نعبد" إلا وأنت غير ملتفت إلى سواه، فإن من رجا غير الله فقد أشرك به، ولا: "وإياك نستعين" إلا وأنت معترف بعجزك، وأنه ليس لك من الأمر شيء.

وكذلك في جميع الأذكار والأعمال، وقد شرحنا بعض ذلك في كتاب الإحياء]. اهـ نقلًا من الحديقة الأنيقة.

سابعاً: ليتدبر الناشئ هذه الجملة من أحاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - في حكم تارك الصلاة، وأن تاركها لا دين له:

(1) فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد" رواه الطبراني.

(2) وعن عبد الله بن قُرْطِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله" رواه الطبراني بإسناد لا بأس به.

(3) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من ترك

الصلاة متعمداً فقد برئت منه الذمة" رواه ابن ماجة والبيهقي.

(4) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من ترك الصلاة متعمداً لقي الله وهو عليه غضبان" رواه الطبراني وإسناده حسن، وفي رواية له عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً".

(5) وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" رواه البخاري وغيره.

(6) وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة" رواه مسلم وغيره.

وبعد هذا.. أيها الناشئ: عليك بالمحافظة على أداء الصلوات في الجماعات، وأقم صورة الصلاة الظاهرة والباطنة، وحافظ على آدابها محافظة أكيدة، وقد ذكر ذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في بداية الهداية فقال: [إذا فرغت من طهارة الخبث وطهارة الحدث في البدن والثياب والمكان، ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة، فاستقبل القبلة قائماً مزاجاً بين قدميك؛ بحيث لا تضمهما، واستو قائماً وقرأ: (قل أعوذ برب الناس) تحصناً بها من الشيطان الرجيم، وأحضر قلبك ما أنت فيه، وفرّغه من الوسوس، وانظر بين يدي من تقوم ومن تناجي، واستح أن تناجي مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوسوس الدنيا وخبائث الشهوات.

واعلم أن الله تعالى مطَّعٌ على سريرتك، وناظر إلى قلبك، فإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك، وتواضعك وتضرعك.

واعبده في صلاتك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك، فهذا لقصور معرفتك بجلال الله تعالى، فقدّر أن رجلاً صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظر إليك، ليعلم كيف صلاتك، فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك! ثم ارجع إلى نفسك فقل:

يا نفس السوء ألا تستحين من اطلاع خالقك ومولاك؟ إذ قدّرتِ اطلاع عبد ذليل من عباده عليك، وليس بيده نفعك ولا ضررك، خشعت جوارحك وحسنت صلاتك، ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك، ولا تخشعين لعظمته!، أهو تعالى عندك أقلُّ من عبد من عباده؟، فما أشد طغيانك وجهلك!، وما أعظم عداوتك لنفسك!

فعالج قلبك بهذه الحيل، فعساه أن يحضر معك في صلاتك، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها، وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو، فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج.

فإذا حضر قلبك، فلا تترك الإقامة وإن كنت وحدك، وإن انتظرت حضور جماعة غيرك فأذن ثم أقم، فإذا أقيمت فانو وقل في قلبك: أؤدي فرض الظهر لله تعالى، وليكن ذلك حاضراً في قلبك عند تكبيرك، ولا تعزب عنك النية قبل الفراغ من التكبير، وارفع يديك عند التكبير بعد إرسالهما أولاً إلى حذو منكبيك وهما مبسوطتان، وأصابعهما منشورة، ولا تتكلف ضمها ولا تفريجها بحيث تحاذي بإبهاميك شحمتي أذنيك، وبرؤوس أصابعك أعلى أذنيك، وبكفيك منكبيك، فإذا استقرتا في مقرّهما فكبر، ثم أرسلهما

برفق، ولا تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلى قدام دفعاً ولا إلى خلف رفعاً، ولا تنفضهما يميناً ولا شمالاً، فإذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما إلى صدرك.

وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى، وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى، واقبض بها على كوعها، وقل بعد التكبير: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ثم اقرأ: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. ثم قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم اقرأ الفاتحة بتشديداتها، واجتهد في الفرق بين الضاد والظاء في قراءتك في الصلاة، وقل آمين، ولا تصله بقولك ولا الضالين وَصَلًا، واجهر بالقراءة في الصباح والمغرب والعشاء - أعني في الركعتين الأوليين - إلا أن تكون مأموماً، واجهر بالتأمين.

واقراً في الصباح بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل، وفي المغرب من قصاره، وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو: (والسماوات البروج) وما قاربها من السور، وفي الصباح في السفر: (قل يا أيها الكافرون) وَ (قل هو الله أحد)، ولا تَصِلْ آخر السورة بتكبيرة الركوع، ولكن افصل بينهما بمقدار: سبحان الله، وكن في جميع قيامك مطرقاً قاصراً نظرك على مصلاك، فذلك أجمع لهمك، وأجدد لحضور قلبك.

وإياك أن تلتفت يميناً وشمالاً في صلاتك، ثم كبر للركوع، وارفع يديك كما سبق، ومُدَّ التكبير إلى انتهاء الركوع، ثم ضع راحتك على ركبتك وأصابعك منشورة، وانصب ركبتك ومُدَّ

ظهرك وعنقك ورأسك مستوياً كالصفيحة الواحدة، وجاف مرفقك عن جنبك، والمرأة لا تفعل بل تضم بعضها إلى بعض، وقل: "سبحان ربي العظيم" ثلاثاً.

وإن كنت منفرداً فالزيادة إلى السبع والعشر حسن، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، وارفع يديك قائلاً: "سمع الله لمن حمده". فإذا استويت قائماً فقل: "ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد".

وإن كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع، ثم اسجد مكبراً غير رافع اليدين، وضع أولاً على الأرض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مكشوفة، وضع أنفك مع الجبهة، وجاف مرفقك عن جنبك، وأقل بطنك عن فخذيك، والمرأة لا تفعل ذلك، وضع يديك على الأرض حذو منكبيك، ولا تفرش ذراعيك على الأرض، وقل: "سبحان ربي الأعلى" ثلاثاً، أو سبعاً أو عشراً إن كنت منفرداً، ثم ارفع رأسك من السجود مكبراً حتى تعتدل جالساً، واجلس على رجلك اليسرى، وانصب قدمك اليمنى، وضع يديك على فخذيك والأصابع منشورة وقل: "رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني".

ثم اسجد سجدة ثانية كذلك، ثم اعتدل جالساً جلسة الاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها، ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض، ولا تقدم إحدى رجلتك في حالة الارتفاع، وابتدى بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة، ومدّها إلى انتصاف ارتفاعك إلى القيام، ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة، وصل الركعة الثانية كأولى، وأعد التعوذ في الابتداء، ثم اجلس في الركعة



الثانية للتشهد الأول، وضع اليد اليمنى في جلوس التشهد الأول على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع، إلا المسبحة والإبهام فترسلهما، وانشر مسبحة يمينك عند قولك: إلا الله، لا عند قولك: لا إله، وضع اليد اليسرى منشورة الأصابع على الفخذ اليسرى، واجلس على رجلك اليسرى في هذا التشهد كما بين السجدين، وفي التشهد الأخير متوركاً، واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واجلس فيه على وركك الأيسر، وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك، وانصب القدم اليمنى، ثم قل بعد الفراغ: السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين، والتفت بحيث يرى بياض خديك من جانبك، وانو الخروج من الصلاة، وانو السلام على من على جانبك من الملائكة والمسلمين، وهذه هيئة صلاة المنفرد.

وعماد الصلاة: الخشوع وحضور القلب، مع القراءة والذكر بالتفهم.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن العبد ليصلي الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها". اهـ

#### رابعاً:- السلوك الاجتماعية:-

وهي مجموعة آداب يجب على الناشئ أن يتأدب بها، وهي دالة على كمال أخلاقه وحسن معاملته، وطيب عنصره وعراقة بيته،

فهي دالة بحق على التربية العالية التي نشأ عليها الناشئ في حياته اليومية المكتسبة من عائلته.

والأخلاق - كما علمت - كلمة واسعة دالة على مدى السعادة الكبيرة الأبدية لمن اتصف بها، وبهذا يعرف مدى حاجة الإنسان الماسة إلى الأخلاق في جميع حالاته، فإنه إن فقدها فالموت أولى له من حياته، كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ما وهب الله لامرئ هبةً      أفضل من عقله ومن أدبه  
هي حياة الفتى فإن فقد      فإن فقد الحياة أليق به

فعلى الناشئ أن يحرص تمام الحرص على اكتساب الأخلاق الفاضلة والتزام الآداب النافعة، ليسعد بها في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: "إن هذه الأخلاق من الله، فمن أراد الله به خيراً منحه خُلُقاً حسناً، ومن أراد به سوءاً منحه خُلُقاً سيئاً"، وفي معنى ذلك يقول حافظ إبراهيم الشاعر المعروف:

فإذا رُزقت خليفة محمودة      فقد اصطفاك مقسماً الأرزاق  
فالناس هذا حظه مالٌ وذا      علمٌ وذاك مكارم الأخلاق

والحاصل أن هذه مجموعة من الآداب التي ينبغي أن يحرص عليها الناشئ في حياته، وهي عنوان سعادته ومحل إسعاد أبويه وأهله إذا تحلى بها الابن، لأن محل سرورهما رؤيتهما لابنهما وهو قائم بكمال الآداب وحسن الأخلاق. وها أنا أقتطف لك مجموعة منها لتعمل بها ملخصاً إياها من كتاب الشيخ عمر بن أحمد بارجاء رحمه الله تعالى، والذي سماه الأخلاق للبنين (الجزء الثالث).

## أ- آداب المشي:

أولاً: ليعلم الناشئ أن المسلم السوي وطالب العلم المستقيم، يمتاز على غيره بكمال الآداب في كل شيء حتى في مشيه، لأن الله ميز أولئك عن غيرهم بقوله: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب).

وثانياً: ليعلم أن كلَّ من التزم أدباً في حياته عاش محترماً مكرماً محبوباً عند الناس، لأنه أتى بشيء أحبه الله تعالى وكرم صاحبه به.

وأجملُ لك آداب المشي في النقاط التالية:

(1) أن تقدّم رجلك اليسرى عند خروجك من البيت

وتقول: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضلّ أو أضلّ، أو أزلّ أو أزلّ، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ، أو أبغي أو يُبغى عليّ. وأن يكون ذلك الخروج بقصد عمل خير أو نفع نفسك أو غيرك، لا لعمل معصية أو مضرة الغير.

(2) وأن يكون مشيك وسطاً لا سريعاً جداً ولا بطيئاً

جداً، كما أمرك الله تعالى بقوله: (واقصد في مشيك)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن". نعم إن كان هناك حاجة لا بأس بمقاربة الخطا والسرعة في المشي من غير إخلال بالمروءة، ففي الحديث: صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم العصر فأسرع - أي في مشيه بعد الصلاة - ثم دخل البيت ففزع الناس من سرعته فقال - أي مبيناً لهم سبب سرعته في المشي وأنه لحاجة -: "ذكرت شيئاً من تِبْرِ -

أي ذهب - عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته".  
والمراد بحبسه في الحديث - والله أعلم - أي يحبسه عن  
دخول البيت إذا أمسى وهو في البيت، لأنه عليه الصلاة  
والسلام لا يبیت إلا وبیته خالٍ من زينة الحياة الدنيا.

(3) وأن لا تمشي في نعل واحدة، للنهي الوارد عن  
ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يمشي أحدكم في  
نعل واحدة، ولينعلهما جميعاً أو ليخلعهما جميعاً".

(4) وأن لا تدق الأرض برجلك أو نعلك عند المشي،  
لأن ذلك من صفات المتكبرين، وقد نهى الله عنه في قوله  
تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل  
مختال فخور)، وقوله تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحاً  
إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طويلاً).

(5) وأن لا تتمايل عند مشيك يميناً وشمالاً، ولا تخطر  
بيدك عجباً وكبراً، ففي الحديث أنه - عليه الصلاة  
والسلام - نظر إلى أبي دجانة وهو يتبختر بين الصفيين في  
غزوة أحد فقال: "إن هذه مشية يبغضها الله تعالى إلا في  
هذا المكان"، وفي الحديث الآخر: "بينما رجل يمشي في  
حلة تعجبه نفسه، مُرَّجِل رأسه يخال في مشيته، إذ خسف  
الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة".

(6) وأن لا تلتفت في أثناء مشيك بدون حاجة أو  
تتحرك بحركات غير لائقة، لا سيما إذا كان فيها تشبه  
بالنساء، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء  
بالرجال.

(7) وأن لا تمد عينيك أثناء المشي في الطرقات  
بالنظر في النوافذ والأبواب، أو في وجوه المارين أو  
الراكبين، وخصوصاً النساء الأجنيات، فإن النظر إليهنَّ

حرام، قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون).

(8) وإذا رأيت في طريقك جماعة يتخاصمون، فمن الأدب أن تصلح بينهم إذا استطعت، عملاً بقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)، وإذا لم تستطع أن تصلح بينهم فابتعد عنهم ولا تشترك معهم ولا تتفرج عليهم، وإذا مررت بمواضع لهو أو أناس يتمازحون، أو يتكلمون بكلام غير لائق أو يؤذون المارة بكلماتهم، فأعرض عنهم ولا تبال بهم، عملاً بقوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)، وبقوله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً).

ويقول الشاعر:

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيباً  
يزيد سفاهة فأزيد حلماً كعودٍ زاده الإحراق طيباً  
(9) وأن تسلم على من لقيته في طريقك وإن لم تعرفه،  
ففي الحديث: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيّ الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

(10) وإذا لقيت أحداً في طريقك، فبشّ في وجهه واستبشر بلقائه، ففي الحديث: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقَ أخاك بوجه طليق"، وبإدائه بالمصافحة أيضاً عند اللقاء فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام: "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا".

(11) وإذا مشيت مع من هو أكبر منك في طريق فاجعله على يمينك وتأخر عنه قليلاً، ولا تحب أن يمشي أحد خلفك، ولا تكره أن يمشي أحد أمامك، فإن ذلك من صفات المتكبرين.

(12) واحذر أن تمشي واطعاً يديك في خصرِك، فإن ذلك فعل المتكبرين وفعل إبليس وفعل اليهود في صلاتهم.

(13) واحذر أن تأكل أثناء المشي في الطريق، أو تُغني أو تقرأ شيئاً، أو ترفع صوتك أو تُصفرَ بفمك، أو تقف في الطريق لمجرد الفضول والنظر إلى مالا يعينك، أو تؤذي أحداً من المارين، أو تمازح من قابلته من أصدقائك، أو تستوقفه من غير حاجة، فإن ذلك كله مخالف لأداب المشي.

(14) وإذا صادفت ضعيفاً يحتاج المساعدة وكان بإمكانك مساعدته فساعدته، أو أعمى يريد عبور الطريق فساعدته في عبورها، أو ضالاً مسترشداً فأرشده، لقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى).

(15) ولا يجوز أن تقضي حاجتك على قارعة الطريق، فتستحق اللعنة من كل من مرَّ فيها، فقد ورد: "اتقوا الملاعن الثلاثة.. ومنها: قضاء الحاجة في قارعة الطريق".

(16) وإذا أردت أن تدخل بيتك فقدّم رجلك اليمنى، واقرأ الدعاء الوارد: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم سلم على أهلِكَ، وفي الحديث: "إذا دخلت على أهلِكَ فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك"، وإذا لم تجد أحداً فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، عملاً

بقوله تعالى: (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة).

## ب - آداب الجلوس:

الجلوس له آداب جمّة، وبهذه الآداب يعرف الناشئ المؤدب من غيره:

- (1) أن تحسن هيئة جلوسك فتجلس سوياً ساكناً لا تعوج رأسك أو بدنك، ولا تمدّ رجلك في مجلسك أمام الناس، ولا تفرقع أصابعك أو تلعب بها أو تشبكها، أو تقلم أظفرك أمام الناس في المجلس، وإذا جلست على كرسي في المجلس فلا تضع ساقاً على ساق ولا تحرك رجلك.
- (2) وإذا أردت أن تدعو أحداً في مجلسك فلا تشر إليه بأصبعك أو رأسك، بل ادعُه بصوتك مع خفضه كي لا تؤذي الآخرين.
- (3) ولا تضحك في المجلس بلا سبب، ولا تمزح مع أحد فيه مزحاً غير لائق، ولا تستكثر من المزاح والضحك، ولا ترفع صوتك بالكلام، أو تغتاب أحداً من الناس أو تشتمه، أو تفشي سره، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "المجالس بالأمانة".
- (4) واحذر من الكذب في كلامك في المجالس لتضحك به الآخرين، ففي الحديث: "ويلٌ للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له".
- (5) وعليك أن تراعي حالة المجلس، فإن كان مجلس أنس وفرح فشارك أهله ذلك، والعكس بالعكس، فليس من الذوق أن تضحك والناس في مجلس حزن، أو تحزن والناس في مجلس فرح.

(6) ومن الذوق عند دخول أحدٍ أن تفسح له المكان إذا أراد الجلوس، لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم).

(7) وإذا كان القادم إلى المجلس أباك أو أستاذك أو من هو أكبر منك؛ فقم إجلالاً له وقدمه في المجلس وتأخر عنه قليلاً، فقد أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - الأنصار بالقيام لسعد بن معاذ - رضي الله عنه - لما قدم لمجلس النبي عليه الصلاة والسلام، وقال لهم: "قوموا إلى سيدكم"، وجاء شيخ كبير يريد النبي عليه الصلاة والسلام فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا".

(8) وإذا دخلت في مجلس فسلم على أهله وصافحهم، وابدأ باليمين إلا إذا كان في صدر المجلس أحدٌ من أهل العلم والصلاح والتقوى فابدأ به، ثم اعمل بعد مصافحته يميناً وإذا أردت الخروج فسلم أيضاً، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم أن يسلم، فليست الأولى أحق من الآخرة".

(9) واحذر إذا أردت الجلوس أن تقيم أحداً من مكانه فإن ذلك حرام كما في الحديث: "لا يقيم أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا"، وإذا قام أحد من مجلسه وأراد أن يرجع فيه فهو أحق بمجلسه الأول، وفي الحديث: "إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به".

(10) وعليك أن تجلس في أقرب مكان إليك، ولا تتحرى صدور المجالس، فإن النبي - عليه الصلاة والسلام - لا يعرف مجلسه من مجلس أصحابه، لأنه كان يجلس



حيث ينتهي به المجلس، وإذا جلست في مسجد فانو فيه  
الاعتكاف لتنال الثواب، والتزم الأدب فيه.

(11) وعليك أن تجتنب العادات القبيحة في جلوسك، فلا  
تدخل أصبعك في أذنك أو أنفك أو فمك، ولا تشتغل  
بتخليل أسنانك، ولا تتمخط بيدك بل بمنديل نظيف مع  
التستر وعدم رفع الصوت، وامتنع من التثاؤب ما  
استطعت بأن تضع يدك اليسرى على فمك أو تطبق  
شفتيك، فإن غلبك فغط فمك بيدك اليسرى ولا تحدث  
صوتاً، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا تثاءب  
أحدكم فليضع يده على فمه، فإن الشيطان يدخل مع  
التثاؤب"، وفي الحديث الآخر: "إن الله يحب العطاس  
ويكره التثاؤب، فإن تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ولا  
يقل هاه هاه، فإن ذلك من الشيطان يضحك منه".

(12) وإذا تجشأت أو عطست فضع يدك أو مندليك على  
فمك كي لا يتناثر ريقك أو تؤذي أحداً بتجشئك، ولا ترفع  
صوتك، ففي الحديث: "إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا  
يرفع بهما الصوت فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما  
الصوت"، واحمد الله مع العطاس.

(13) واحذر الجلوس في الطرقات للنهي الوارد عن  
ذلك، فإن كان لا بد منه فأعط الطريق حقه، وهو كما في  
الحديث: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر".

(14) وأخيراً: إذا قمت من مجلسك فاقرأ الدعاء الوارد  
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو: "سبحانك اللهم  
وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك"  
فمن قال ذلك غفر له ما كان في مجلسه.

## ج - آداب المحادثة:

- (1) لتعلم أيها الناشئ أن كلام الشخص دال عليه، فذلك لا بد أن تزن كلامك وتديره في نفسك قبل إخراجها والنطق به، فإن كان ملائماً فانطق به وإلا فاسكت عنه لتسلم من آفات اللسان العظيمة، وقد قيل: المرء مخبوءٌ تحت طيِّ لسانه لا تحت طيلسانه.
- (2) ولتعلم أن كل كلمة تكتب عليك وتسجلها الملائكة في صحيفتك، قال تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، وورد: إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، يقول الشاعر:  
وزن الكلام إذا نطقتَ فإنما
- (3) بيدي عيوب ذوي العيوب المنطقُ  
وليكن كلامك على قدر الحاجة لئلا تكون ثرثاراً، فقد ورد في الحديث: "من أكثر كلامه أكثر سقطه، ومن أكثر سقطه أكثر ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به"، ومن الثرثرة أن تتكلم بكل ما سمعت به، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما يسمع".
- (4) ومن آداب المحادثة أن تتكلم بما يناسب المقام، فلا تأت بالمضحكات وقت الحزن ولا المحزنات وقت الفرح، ولا تذكر المستقذرات وقت الأكل، ولا تصرح بشيء من العيوب البدنية وفي المجلس من فيه ذلك العيب، وإذا سئلت عن شيء فأجب بالنطق ولا تجب بتحريك الكتفين، وإذا سئل غيرك فلا تتسرع بالجواب، وليكن كلامك بصوت متوسط بقدر أن يسمع المخاطب.

(5) وإذا حدثك أحد فاصغ إلى ما يقول وأقبل عليه بوجهك، ولا تقطع عليه كلاماً بل انتظر إلى أن يفرغ منه، وإذا لم تفهم شيئاً من كلامه فلا تقول: كيف؟.. ماذا تقول؟.. بل استعمل العبارات الجميلة اللطيفة مثل: تفضل، أعد كلامك.. من إحسانك أن تعيد ما قلت، وإذا كلمت أحداً ولم يفهم كلامك فلا تغضب، بل أعد كلامك ثانياً وثالثاً.

(6) واستعمل في محادثتك عند الطلب الكلمات اللطيفة، فإذا طلبت من أحد شيئاً فلا تقل: افعل كذا.. وهات كذا..، لأن ذلك من الأفعال الخشنة، ولكن قل: من فضلك وإحسانك افعل كذا.. أو أطلب منك مساعدة تحضر لي كذا، ومن الكلمات الجافة أن يناديك أستاذك أو أحد والديك وتقول له: ايش بغيت.. أو ماذا تريد، بل أبدلها عند الإجابة بقول: لبيك، ففي الحديث: "ما كان أحدٌ أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال: لبيك".

(7) وإذا كان في المجلس من هو أكبر منك سنأً فلا تتقدم عليه بالكلام، وإذا حدثك جليساك بحكاية تعرفها فاستمع إليها كأنك لأول مرة تسمعها، ولا تخبره بسماعها فتكسر قلبه، وإذا غلط فيها فنبهه بلطف، بأن تقول: على ما أظن أنه كذا، فإذا لم يصح إلى تنبيهك فاتركه وشأنه.

(8) ومن آداب المحادثة أيضاً الاحتراس من الكلمات البذيئة ومن السب واللعن، وقد ورد: "ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء"، وأن تجتنب الغيبة والنميمة، قال تعالى: (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)، وفي الحديث: "كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب"، وفي الحديث الآخر: "لا يدخل الجنة نام".

## د - آداب الأكل:

- (1) لتعلم أيها الناشئ أن المؤمن العاقل يأكل ليعيش، وأما الجاهل فإنه يعيش ليأكل، فعندئذ يكون همه بطنه فقط كالبهائم، ولذلك يلزمك أن تراعي التوسط والاعتدال في الأكل، امتثالاً لقوله عز وجل: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين).
- (2) وأن تنوي بأكلك التقوي على طاعة الله لتنال الثواب بنيتك تلك، لأنه قد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..".
- (3) وأن تقنع من الطعام بالموجود، وتأكل وأنت تائق للطعام، فلا تأكل في كل وقت وحين، وإذا أكلت فكل دون الشبع، لأن الشبع يورث البلادة، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فتلت طعامه وتلت لشرابه وتلت لنفسه".
- (4) وأن تراعي النظافة فتغسل كفيك قبل الأكل وبعده، وفي الحديث: "الوضوء - أي غسل الكفين - قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي الألم - يعني الجنون أو طرفاً منه".
- (5) وأن تأكل وتشرب وتتناول وتناول بيمينك، لقوله عليه الصلاة والسلام: "ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، ويعطي بشماله ويأخذ بشماله".
- (6) وأن تسم الله في أول الأكل والشرب، فتقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نسيت في أول الطعام أو الشرب أتيت بها في أثناءه، ولتقل: بسم الله أوله وآخره، فقد ورد

عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره".

(7) واحذر أن تأكل أو تشرب قائماً للنهي عنه، ولا تأكل أو تشرب وأنت تمشي لنهي الأطباء عن ذلك، ولا تأكل أو تشرب أيضاً وأنت منبطح على بطنك فهو منهي عنه، ولا تأكل أو تشرب وأنت مضطجع أو متكئ على الوسادة، فإن ذلك يستدعي الكبر، وفي الحديث: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما جثى للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى، وكان يقول: لا آكل متكئاً، إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد".

(8) وإذا فرغت من الأكل فاغسل يديك وفمك، واشكر الله تعالى بعد الانتهاء من الأكل مباشرة، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها". ويسن أن تقول بعد الأكل: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة، فقد ورد الحديث أن من قال ذلك غفر له ما تقدم من ذنبه، وقل بعد شرب الماء: الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا.

### آداب الأكل مع الاجتماع:

وهذه الآداب تزداد على ما تقدم من الآداب الماضية، ولتعلم أنه يسن الاجتماع حين الأكل، فإن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لا يأكل وحده، وقال: "اجتمعوا على طعامكم ببارك

الله لكم فيه"، ولا بد من مراعاة الآداب التالية حال الاجتماع على الأكل:

- (1) أن لا تسرع إلى الجلوس، أو تبتدىء في الأكل قبل مَنْ هو أكبر منك سناً أو أعلى مقاماً، إلا إذا كنت المتبوع أو المقتدى به بأن تكون صاحب البيت، فينبغي أن تبدأ بالأكل كيلا يطول الانتظار على الحاضرين.
- (2) وأن لا تطيل الجلوس على المائدة فتكون آخر الناس قياماً منها، فتظهر بمظهر الشره والجشع إلا إذا كنت صاحب المنزل، فيستحب منك ذلك، وفي الحديث: "كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلًا".
- (3) وأن لا تكون مستعجلاً في النهوض من على المائدة أو الوقوف عن الطعام ولو مع بقائك في المائدة، فيخجل جيرانك ويقفوا عن الأكل تقليداً لك، وفي الحديث: "إذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وإن شبع حتى يفرغ القوم فإن ذلك يخجل جليسه، وعسى أن تكون له في الطعام حاجة".
- (4) وأن لا تتعمد النظر إلى أصناف الطعام وإلى وجوه الأكلين، ولا تمد يدك إلى الطعام البعيد عنك بل تأكل مما يقرب منك إلا الفاكهة، فلا بأس أن تأخذ منها ما تشاء، وفي الحديث: "كان صلى الله عليه وآله وسلم يدور على الفاكهة فقبل له في ذلك فقال: ليس هو نوعاً واحداً".
- (5) ولا تجرّ طعاماً من بين يدي صاحبك إلى قدامك، ولا تستأثر بطعام دون أصحابك، وإذا أكلت موزاً مثلاً فلا تضع قشره أمام غيرك، إيهاماً بأنك لم تأكل منه شيئاً فهذا من الكذب، ولا ترمِ بقشره على الطريق لكي لا يزلق به أحد.

- (6) ولا تُحَدِّث صوتاً عند المضغ لا سيّما إذا استحسننت شيئاً من الطعام، فإن ذلك دليل على الشره.
- (7) وإذا غلبك بصاق أو مخاط ففتح عن المجلس، ولا تظهر صوتاً شديداً عندما تبصق أو تتمخط.
- (8) ولا تنفض يدك في الصحفة بعد أكل اللقمة من الطعام، ولا تقدّم إليها رأسك عند رفع اللقمة في فمك، وإذا أخرجت شيئاً من الطعام من فمك فاصرف وجهك عن الطعام وخذه بيسارك، وما أكلت منه بفمك فلا ترده إلى الطعام ثانياً كي لا يستقذره غيرك.
- (9) ولا تتجشأ في وجه أحد، ولكن اصرف وجهك عنه وتجشأ بلطف، ولا تشمّ الطعام بأنفك، فقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه بقوله: "لا تشمّوا الطعام مثل السباع".
- (10) وإذا عرض لك نوع من الطعام لا تحبه، فلا تظهر كراهيتك له فتذمه أو تقول: ما أحبه، ولكن اعتذر لعارضة لك بلطف قائلاً: أرجوك أن تعذرني أو أشكرك أو نحو ذلك.
- (11) وإذا غسلت يديك فلا تنفضهما بعد الغسل كيلا يصيب الرشاش أحد الحاضرين، وإذا أكلت عند أحد فادع له بعد الفراغ من الأكل، وقل: اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته، ويسر له أن يفعل فيه خيراً وقنعه بما أعطيته، واجعلنا وإياه من الشاكرين، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أكل عند عبد الله بن بسر ثم قال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم.
- تنبيه: احذر أن تأخذ شيئاً من المائدة إلى بيتك إلا إذا أعطاك إياه صاحبها أو أذن لك في الأخذ، واحذر أن تحضر وليمة لم تدع إليها فتكون طفيلياً، وفي الحديث: "من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً".

## هـ - آداب النوم:

لتعلم أيها الناشئ أن النوم ضروري للإنسان، لأنه يعيد إليه ما فقد من القوة أثناء العمل، وأحسن الأوقات للنوم الليل، لأن فيه الهدوء والسكون، قال تعالى: (وجعلنا الليل لتسكنوا فيه). ولتحذر من السهر في غير طاعة الله تعالى أو مدارس العلم أو حفظه، وأما السهر بلا فائدة أو في لهو فلا شك في أنه مضر بالصحة. وعلى كل حال.. فاعط نفسك وقتاً من الراحة بالنوم في الليل، فإن نوم النهار لا يعوّض نوم الليل، واحذر من الكسل وطول النوم.

وعليك أن تحرص على هذه الآداب الخاصة بالنوم وهي:

(1) لا تنم بعد تناول طعام العشاء مباشرة، لأن ذلك يورث الأحلام المزعجة، وقد يسبب الأرق، وهو أيضاً يسبب قساوة القلب، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة، ولا تناموا عليه فتفسو قلوبكم".

(2) وليكن نومك بعد أداء واجباتك التعبدية نحو الصلاة، وكذلك مطالعتك في ما تدرسه من علوم نافعة، فإن فاتك شيء منه فاقضه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "من فاته شيء من وتره أو نسيه فليصله إذا ذكره".

(3) وليكن نومك في ملابسك الخاصة بالنوم، وفي فراشك المعد للنوم بعد نفضه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفضه بداخلة إزاره - بطرفه من



داخل - فإنه لا يدري ما خلفه عليه" أي ربما دبَّت إليه حشرة مؤذية.

(4) ثم اضطجع على جنبك الأيمن مستقبلاً القبلة، حامداً شاكراً لربك الذي سلّمك ووفّقك طول يومك، وطهر قلبك عن الحقد والغلّ والحسد لأحد من المسلمين.

(5) واستغفر من ذنوبك عند الاضطجاع أيضاً قائلاً: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (3مرات)، فإنه ورد في الحديث أنه من قالها حين يأوي إلى فراشه غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، ثم تقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك (3مرات). ثم انفث في كفيك ثلاثاً، والنفث: النفخ اللطيف بلا خروج ريق، واقرأ فيها الإخلاص والمعوذتين، ثم امسح بهما ما استطعت من جسدك، مبتدئاً بالرأس والوجه وما أقبل من الجسد، هكذا ورد في الحديث ثم سبحان الله (ثلاثاً وثلاثين)، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك، ثم اقرأ آية الكرسي و(آمن الرسول..) إلى آخر سورة البقرة، فقد ورد ثواب عظيم لمن قرأ ذلك، ثم اختتم بهذا الدعاء: اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت.

فإنك إذا قلت ذلك ومثّ من ليلتك، مثّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبحت خيراً كما ورد في الحديث. وبعد ذلك اقرأ سورة الكافرون ثم نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك كما ورد.

(6) واحذر أن تنام على بطنك فإنه لا يليق بالأدب ففي الحديث: "إن هذه ضجعة يبغضها الله"، ولا تغطّ وجهك فإنه يسبّب مرض السُّل باستنشاق الفاسد.

واحذر أيضاً أن تدع شيئاً من النار مشتعلًا قبل نومك، فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إن هذه النار عدو لكم فإذا نمت فأطفئوها".

واحذر أن تنام في هذه الأوقات:

- (1) قبل صلاة العشاء: لقوله عليه الصلاة والسلام: "من نام قبل صلاة العشاء الآخرة فلا أنام الله عينه".
- (2) بعد صلاة العصر: لأثر فيه وهو: من نام بعد صلاة العصر فاختلس عقله فلا يلومنّ إلا نفسه.
- (3) بعد صلاة الصبح: لأنه يمنع الرزق.
- (4) نوم الضحى: لأنه يورث البلادة والحمق.

### و - آداب القيام من النوم:

- (1) إذا قمت من نومك فليكن أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى، لتفتتح يقظتك بالخير كما ختمتها به أيضاً، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: مكانك عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان".

- (2) وأن تجتهد في أن يكون قيامك قبل طلوع الفجر، لتصلّ الفجر في أول الوقت، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: "الصلاة لأول وقتها".
- (3) ويسن عند قيامك من النوم أن تستعمل السواك، لورود ذلك عنه عليه الصلاة والسلام، ثم تقرأ هذه الأدعية وهي:

الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة، الحمد لله الذي بعثني سالماً سوياً، أشهد أن الله يحي الموتى وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. ثم تنظر إلى السماء وتقرأ آخر سورة آل عمران: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبصار..) إلى آخر السورة. وإذا لم تحفظ هذه الدعوات والآيات فلا بأس بأن تقرأها نظراً حتى تحفظها.

- (4) ثم اذهب إلى بيت الخلاء منتعلاً مستور الرأس، مقدّم رجلك اليسرى عند الدخول واليمنى عند الخروج، ولا تغفل عن الدعوات الواردة عند ذلك وعند الفراغ من الوضوء، ثم صلّ ركعتي الفجر وانو بهما أيضاً سنة الوضوء، وبعد ذلك اقرأ دعاء الفجر كما ورد في الحديث، وهو:

[اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلمّ بها شعثي، وترد بها أفتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي،

وتبيّض بها وجهي، وتلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم إني أسألك إيماناً دائماً يباشر قلبي، وأسألك يقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبه عليّ، وأرضني بما قسمته لي. اللهم أعطني إيماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الصبر عند القضاء، والفوز عند اللقاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء. اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي، وقصر عملي، وافتقرت إلى رحمتك. فأسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور، أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور وفتنة القبور. اللهم وما ضعف عنه رأيي، وقصر عنه عملي، ولم تبلغه نيتي وأمنيّتي من خير وعدته أحداً من عبادك، أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك. فإني راغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين.

اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلّين، حرباً لأعدائك، وسلماً لأوليائك، نحب بحبك الناس، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك. اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ذي الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، الرّكع السجود، والموفين لك بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد. سبحان من تعطف بالعزّ وقال به، سبحان من لبس المجد وتكرّم به، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه. اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبوري، ونوراً في

سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي، ونوراً في عصبي، ونوراً من بين يديّ، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي. اللهم زدني نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم]. ثم صلّ الصبح جماعة، وبعد الأذكار الواردة اقرأ الورد اللطيف الشهير للإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه، فقد جمعه من الأحاديث الصحيحة، فحافظ عليه فإنه عظيم الفائدة في الدنيا والآخرة.

### ز - آداب اللبس:

(1)

يستحب لك أن تتوي بلبس الثياب ستر العورة التي أمرك الله بسترها، لتنال الأجر والثواب على نيتك.

(2) وعند لبسك للثياب تبدأ بالكم الأيمن، قال عليه الصلاة والسلام: "إذا لبستم أو توضأتم فابدءوا بأيمانكم". وأن تسمّ الله عند اللبس، وتقول: اللهم إني أسألك من خيره وخير ما هو له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما هو له، الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة. واحذر من كشف العورة من غير حاجة، فإذا دعت الحاجة فتأتي بهذا الدعاء الوارد الذي هو ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم، وهو: بسم الله الذي لا إله إلا هو، وعند خلع الملابس ابدأ بكمك الأيسر.

(3) وإذا لبست ثوبك الجديد فتصدّق بثوبك القديم، ففيه فضل كبير وأجر عظيم، قال عليه الصلاة والسلام: "من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني ما أوارى به

عورتى وأتجمل به فى حياتى، ثم عمد إلى الثوب الذى  
أخلق فتصدق به، كان فى حفظ الله وفى كنف الله عز  
وجل وفى سبيل الله حياً وميتاً".

(4) وعليك بتحسين هيئتك وتنظيف ثيابك، فى الحديث: "إن  
الله جميل يحب الجمال"، وأوصى النبى صلى الله عليه  
 وآله وسلم جماعة فقال: "إنكم قادمون على إخوانكم  
 فأصلحوا رجالكم وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم  
 شامة فى الناس".

(5) وينبغى لك أن تلبس الملابس المتينة اللائقة بك وبمقامك،  
 الخالية عن الزخارف والزينة، فإن التصنع فى الملابس  
 من شيم النساء وليس من شيم الرجال، حتى قال عليه  
 الصلاة والسلام: "من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله  
 ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه ناراً".

(6) وأن تكون هيئة لباسك ملائمة للأدب والأخلاق الفاضلة،  
 فاحذر أن تضع كوفيتك مثلاً مائلة إلى الإمام فإن ذلك  
 عادة المتكبرين، واحذر أن تسبل إزارك وثوبك إلى أسفل  
 الكعبين، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "ما  
 أسفل الكعبين من الإزار فى النار"، بل إن فعله خيلاء  
 فهو حرام، لقوله عليه الصلاة والسلام: "من جرّ ثوبه  
 خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة - أي لم يرحمه -".

(7) وأن تحرص أن لا تكون ثيابك تشبه ثياب النساء فى  
 الحديث: "لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل  
 يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل"، وإياك  
 ولبس الذهب والحريير فلبسهما للرجال حرام كما ورد.

(8) وكذلك عليك أن تحرص أشدّ الحرص أن لا يكون  
 ملبوسك مشابهاً لملبوس الكفار والفسقة، فقد ورد عنه  
 عليه الصلاة والسلام أنه قال: "من تشبه بقوم فهو منهم".

(9) ولتعلم أن خير الثياب الأبيض منه، فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال: "البسوا من ثيابكم البيضاء، فإنها من خير ثيابكم".

**تنبيه:** عند أدائك للصلاة احرص أن تكون بكامل هيئة لباسك، واحذر أن تكون حاسر الرأس فإن ذلك مخل بالأدب، والله تعالى يقول: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) أي صلاة.

### ح - آداب الزيارة والاستئذان:

مما ينبغي لك أيها الناشئ أن تعتني بزيارة أقاربك لأن ذلك من صلة الرحم، وتعتني أيضاً بزيارة أصدقائك لتدوم المحبة بينك وبينهم، قال عليه الصلاة والسلام: "من زار أخاً له في الله ناداه مناديان: أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً".

ولتعلم أن للزيارة آداباً يجب عليك مراعاتها، لكي تكون محبوباً ومبجلاً وهي:

(1) أن تستأذن أولاً قبل الدخول بأن تقف أمام الباب الخارجي، بحيث لا تنظر إلى من في داخل المنزل، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

(2) وإذا كان الباب مفتوحاً ويكشف ما بداخل المنزل عند استقباله، فاستقبل الجانب الأيمن أو الأيسر، كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن والأيسر، ثم يقول: السلام عليكم.. السلام عليكم، وذلك أن الدور يومئذ لم يكن عليها مستور.

(3) وإذا كان الباب مقفلاً فاقرعه برفق ولطف، وإذا كان له جرس فدقّه بدون إزعاج ولا عنف، يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا - أي تستأذنوا - وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون).

(4) ويكون الاستئذان ثلاثاً، قال عليه الصلاة والسلام: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع". وإذا قيل لك عند الاستئذان: مَنْ؟ أو مَنْ أنت؟ أو من بالباب؟ فأجب مصرحاً باسمك، ولا تقل أنا أو صديقك أو بعض المحبين أو ما أشبه ذلك، إلا إذا كان الرادُّ عليك يعرف صوتك فلا بأس عندئذٍ، قال جابر رضي الله عنه: أتيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدققت الباب فقال: "مَنْ هذا؟" فقلت: أنا، فقال: "أنا.. أنا" كأنه كرهها.

(5) وإذا قيل لك: إن صاحب البيت غير موجود فارجع ولا تغضب ولا تسيء الظن وتقول في نفسك: إنه لا يحب مقابلي، قال تعالى: (فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم).

(6) والأسرة الواحدة في البيت يستأذن بعضهم على بعض إذا كان أراد أحدهم الدخول إلى غرفة الآخر الخاصة به، وليحذر من فتح الباب عليه قبل الاستئذان، سأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: "نعم"، فقال الرجل: إني معها في البيت، فقال: "استأذن عليها"، فقال: إني أخدمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟" قال: لا، قال: "فاستأذن عليها".

(7) وأن تختار الوقت المناسب للزيارة، فلا تزُر أحداً في وقت تناول طعامه أو راحته أو خروجه إلى عمله



فيستثقلك المزور، وعليك أن تراعي كون زيارتك وسطاً  
فلا تزور كل يوم فيملاًك مَنْ تزوره، ولا تكون مقللاً جداً  
في الزيارة فيكون ذلك سبباً للوحشة والقطيعة.

(8) وأن تكون أثناء الزيارة نظيف الملبس حسن الهيئة  
وتجلس في المكان اللائق بك، فلا تتقدم على من هو أكبر  
منك سناً أو رتبة، مع كمال الأدب عند المزور فلا تعبت  
بأشياءه الخاصة ولا تطالع في رسائله أو كتبه، وتشارك  
المزور في فرحه وحزنه، وتستأذن منه إذا أردت  
الانصراف، فإذا أذن لك وجاء زائر آخر فلا تنصرف بل  
امكث قليلاً ولا تبادر إلى الخروج، لئلا يظن أنك قمت  
من أجله وكرهت أن تجتمع به، إلا إذا كنت مستعجلاً  
فأخبره عن سبب قيامك واعتذر له.

(9) وإذا زارك أحد فاستقبله ببشاشة ونشاطٍ قائلاً: أهلاً وسهلاً  
ومرحباً: وصافحه وأنت في غاية الفرح والسرور  
بزيارته، ثم أجلسه في المكان اللائق به واسأله عن  
صحته وصحة أسرته، ثم حادثه بلطف وأدب وطلاقة  
وجه، وقم بخدمة ضيفك بنفسك، وفي الحديث: أنه قدم  
وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
فقام يخدمهم بنفسه، فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا  
رسول الله فقال: "كلا، إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وأنا  
أحب أن أكافئهم". ونزل الإمام الشافعي على الإمام مالك  
رحمهما الله، فقدم إليه طعاماً ثم صبّ بنفسه الماء على  
يديه، وقال لا يرُعك ما رأيت فخدمة الضيف فرض.  
واحذر أن تخدم ضيفك فإن ذلك من شيم أهل اللؤم.

(10) وقدم إلى ضيفك ما يليق من الطعام والشراب إن حضر  
ذلك بدون تكلف، لئلا تستثقل مجيئه، ولا تقل: هل أقدم  
لكم كذا؟، ولكن قدمه ابتداءً فإن أكله وإلا ارفعه. وقال

سلمان رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم ما حضرنا. ويسن أن ترغب ضيفك على الأكل وترغبه فيه. (11) وإياك إن حضر أحد لزيارتك أن تختبئ منه وتأمر الخادم أو غيره أن يقول له: إنك لست في البيت أو إنك نائم، فهذا ليس من الأخلاق الحسنة، وهو حرام لما فيه من الكذب.

(12) وإذا استأذن منك ضيفك بالانصراف فلا تعجل بالإذن له، ولكن اطلب منه أن يتأني إلا إذا ألحَّ عليك في الاستئذان، فأذن له بالانصراف، وودّعه إلى باب دارك أو إلى الطريق، وأنت متأسف على استعجاله وشاكر له على زيارته، وراج منه تكراراً لزيارته مرة بعد أخرى، وفي الحديث: "إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار".

## ط - آداب زيارة المريض:

لتعلم أن زيارة المريض مطلوبة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس". وفي الحديث الآخر: "ما من مسلم يعود مسلماً غُدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادته عشيةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة". وبهذا تعلم أنه يستحب زيارة المريض خصوصاً إذا كان من أقاربك أو جيرانك أو أساتذتك أو أصدقائك، فإذا سمعت بمرض أحدٍ منهم فبادر إلى عيادته. ثم اعلم أن لعيادة المريض آداباً لا بد من مراعاتها وهي:

- (1) قبل أن تعود المريض يلزمك السؤال عن إمكان زيارته أم لا، حتى لا تشق عليه، وأما إذا لم يستطع فاكتفِ بإبلاغه السلام والسؤال عن صحته عبر أسرته، وإن كان بإمكانه استقبال زائريه فبادر إلى زيارته.
- (2) وإذا زرته فخفّف الجلوس عنده حتى لا يتعب أو يضيق من مقابلتك، إلا إذا كان يأنس بوجودك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من السنة تخفيف الجلوس وقلة النحب في عيادة المريض.
- (3) ومن آداب زيارة المريض أن تسأله عن حاله بكلام مختصر إذا كان لا يشق عليه الجواب، وإلا فاكتفِ بسؤال من يمرضه بصوت معتدل، لأن الصوت الخافت قد يدخل الخوف على قلبه والمرتفع يزعجه، وعند سؤاله عن حاله تضع يدك على جبهته أو على يده، لقوله عليه الصلاة والسلام: "تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده فيسأله كيف هو؟" وفي رواية: "كيف

أصبحت؟ وكيف أمسيت؟" ويردُّ المريض: أصبحت بخير الحمد لله.

(4) ومن الأدب إذا رأيت عليه تغيراً في لونه أو ضعفاً في جسمه فلا تخبره بذلك، ولا تظهر أسفك من ذلك لئلا يخاف، بل شجِّعه وادعُ له بالعافية وطول العمر، وفي الحديث: "إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في أجله، فإن ذلك لا يردُّ شيئاً ويطيَّب نفسه"، وذلك بأن تقول له: لا بأس طهور إن شاء الله.

(5) واحذر أن تذكر له شيئاً يسوؤه ويكدره، أو تذكر له أن فلاناً كان مريضاً بمرضك ثم مات، لأن ذلك يحزنه ويزيد مرضه، وإذا شكَا إليك مرضه فلا تزجره ولا تغضب عليه، ولكن استمع إلى شكواه وخفف ألمه بعبارات لطيفة، كأن تقول له: لا بأس عليك إن مرضك خفيف، وبعض الناس أشد من مرضك فعجَّل الله لهم الشفاء.

(6) ويسن أن تشهيه الطعام، ففي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد رجلاً من الأنصار، فقال: "ما تشتهي؟" قال: أشتهي خبز برّ، فقام رجل فانطلق فجاء بكسرة من خبز، فأطعمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياه، فقال: "إذا اشتهى مريض أحدكم شيئاً فليطعمه". ولا تجبره على تناول الطعام بل ارفق به حتى يتناوله، ففي الحديث: "لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم".

(7) ويسن أن تدعو له بالدعاء الوارد عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك (7مرات) إلا عافاه

الله من ذلك المرض". ويسن أيضاً أن تطلب الدعاء من المريض، لقوله عليه الصلاة والسلام: "عودوا المريض ومروهم فليدعوا لكم، فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور".

## ي - آداب المريض:

- (1) من آداب المريض أن يصبر على مرضه، ولا يتضجر ولا يكثر الشكوى، ولكن يرضى بما قدر الله عليه من مرض لينال ثواباً جزيلاً، وأن يدعو لنفسه بالشفاء، كما في الحديث: شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعاً يجده في جسده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ضع يدك على الذي يألم من جسدي وقل: بسم الله (ثلاثاً) وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر".
- (2) وأن يستعمل الدواء في وقته، لقوله عليه الصلاة والسلام: "تداووا فإن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاء"، وليعتقد أن العافية من الله تعالى لا من الدواء.
- (3) وأن يحذر غاية الحذر من ترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بل يصلي على أي كيفية كانت على حسب استطاعته، والأصل في ذلك حديث عمران بن حصين - رضي الله عنهما - عندما كان به مرض البواسير، فقال له عليه الصلاة والسلام: "صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب فإن لم تستطع فمستلقياً، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها". وأن لا يترك صوم رمضان أيضاً إذا كان قادراً على الصيام، فإن لم يستطع فليفطر وليبادر بعد شفائه ونقاها من قضاؤه.

- (4) وإذا تعافى فليشكر الله شكراً عظيماً على عافيته، وليطلب منه دائماً طول العمر في طاعته مع اللطف والعافية، وفي الحديث: "سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية".
- (5) وليبادر إلى شكر الذين قاموا بخدمته والذين زاروه أيام مرضه، فيشكرهم ويزورهم في بيوتهم على حسب الإمكان، ففي الحديث: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

### ك - آداب زيارة التعزية:

- (1) إذا سمعت بموت أحد يسن لك أن تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه عندك في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلفه في أهله في الغابرين، ولا تحرمنا أجره ولا تفتننا بعده.
- (2) وتذهب إلى أهل المصاب للتعزية وتخفيف حزنهم، وتسليهم عن مصيبتهم، وتذكر لهم ثواب الصبر وتنهاتهم عن الجزع المذهب للأجر، وتقول: أعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم وغفر لميتكم، لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، هكذا الدنيا وهذا مصير كل حي، (كل نفس ذائقة الموت). ففي الحديث: "ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة".
- (3) ومن الأدب في التعزية أن تشارك أهل الميت في حزنهم، فلا تتظاهر بالفرح والسرور أمامهم، بأن تضحك أمامهم أو تمازح أحداً عندهم أو تلبس فاخر الثياب ونحو ذلك.

(4) وأن لا تتحدث عن المتوفى ما لم يبتدئ بذلك أهله وأقاربه، فحينئذٍ أثن عليه خيراً واذكر محاسنه، واحذر من ذكر مساويه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم".

(5) وعليك أن تساعد أهل الميت بحسب استطاعتك، وأن تحرص على حضور الصلاة عليه وتشيع جنازته، فإن ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وله فضل عظيم، ففي الحديث: "من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدا حتى تدفن فله قيراطان"، قيل: وما القيراطان؟ قال: "مثل الجبلين العظيمين".

**تنبيه:** تستحب التعزية قبل الدفن وبعده، وتكره بعد ثلاثة أيام لأنها تجدد الحزن، إلا إذا كان المعزى أو المعزي غائباً فإنها تمتد إلى قدومه.

## ل - آداب المصاب:

(1) إذا أصيب الإنسان بموت أحد أقاربه أو أصدقائه، فعليه بالصبر والثبات، وليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها، وفي الحديث: "من قال ذلك آجره الله تعالى في مصيبتة وأخلف له خيراً منها".

(2) وليحذر كل الحذر من النياحة على الميت، بأن يذكر محاسنه مع بكاء ورفع صوت، لأن ذلك يدل على عدم الرضا بقضاء الله وقدره، وذلك حرام. وأما البكاء من غير نياحة ولا رفع صوت فليس بحرام، ففي الحديث: أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رفع إليه ابن بنته زينب - رضي الله عنها - وهو في الموت، فاضت عيناه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه: ما هذا يا رسول الله؟ قال: "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء".

## م - آداب زيارة التهنة:

(1)

إذا حدث لأي أحد من أقاربك أو أصدقائك حادث سرور، نحو قدوم من سفر أو شفاء من مرض أو عودة من حج يستحب لك أن تزوره وتهنئه بذلك، ليزداد فرحه وتتأكد محبته لك بمشاركتك إياه في سروره.

(2) ويسن التهنة بحصول مرتبة علمية كحفظ القرآن وختم كتاب ونحو ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل أبي بن كعب رضي الله عنه: "أي آية في كتاب الله أعظم؟" قال: آية الكرسي، قال: "لِيَهْنَكِ العلم أبا المنذر".

(3) وعليك حينما تهني صديقك أن تستقبله بوجهٍ بسّام، ونفسٍ ملؤها الفرح والسرور، قائلاً له عند القدوم من السفر: الحمد لله الذي سلّمك، أو الحمد لله الذي جمع الشمل بك، أو أهنتك بسلامة الوصول، أو نحو ذلك. وعند الرجوع من الحج: قبل الله حجك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك، أو حج مبرور وسعي مشكور وتجارة لن تبور. وفي التهنة بالزواج: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير، وبحصول المولود: بارك الله لك في الموهوب وشكرت الواهب، وبلغ أشده ورزقت بره، وفي رد صديقك عليك يقول: بارك الله لك وبارك عليك وجزاك الله خيراً ورزقك مثله، وفي التهنة برمضان: شهر مبارك، وبالعيد: من



العايدين الفائزين برضى رب العالمين، كل عام وأنتم  
بخير.

**خاتمة:** - نسأل الله تعالى حسنها - وبعد أيها الناشئ فعليك التركيز والعمل بما جاء في هذه المجموعة من سلوك وآداب، وشمّر دائماً في اكتساب المعالي، ودع سفاسف الأمور، واحذر من الغفلة والضياع، فإن العمر رأس مال إذا ضاع لا يعوّض، والعمر قصير والناقد بصير، فاجتهد في ما يقربك من مولاك، واحذر الانخداع في الرياء والسمعة، وحب الظهور، وانتظار الكرامات، وغير ذلك مما يقطعك عن مولاك، فإن الوجهة له، (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير) وعليك أن تطالع في سيرة النبي الكريم - عليه صلوات الله وسلامه - في كل وقت وحين، فأدمن النظر في سيرته وسيرة أصحابه، والتابعين والسلف الصالحين، فاقراً في مناقبهم، واستلهم من أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم ما يقربك إلى مولاك، فإن الناظر في سيرة هؤلاء الرجال يستصغر نفسه عندهم، ويحتقر كل ما قدمه من عمل لضالته أمام ما هو مدوّن في سيرهم؛ من جليل الأعمال مع خالص النيات.

واحذر من أهل هذا الزمان، وما هم بصدده من غيبة ونميمة ونحو ذلك من المهلكات، واحذر - أيضاً - من الإعلام الخبيث دسيسة المستعمر وخذعة العدو، الذي يضيع الأوقات في المتاهات، ويغرس في النفس الميل للشهوات، ويفسد الأخلاق ويدمر الآداب.

فإن الله في سيرة السلف الصالحين، احْيَ بذكرهم، وطالع  
مكون علمهم وسرهم، فإنك ستعيش معهم، ومن أحب قوماً كان  
منهم.

وقد جمعت لك هذه الآداب - والتي يجب أن نسلکها - من كتبهم،  
وليس لي إلا الجمع والترتيب والتبويب، وإضافة بعض الأشياء  
واختصار بعضها، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها الناشئة وغيرهم  
كما أسأله لي ولك التوفيق والسداد، وأن يُلحني وإياك بكُمَل  
الرجال، وأن يحفظ عليّ وعليك الأوقات، وأن يصرفها في  
طاعته، ويجعلني وإياك من عبيد الإحسان، بمحض الجود والكرم.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة  
عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين،  
والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين.

كان الفراغ منها بعد صلاة فجر يوم  
الأربعاء بمدينة عدن المحمية.

الموافق: 1423/4/15 هـ

## ذكر بعض المصادر:

- 1- النصائح الدينية: للإمام عبد الله بن علوي الحداد.
- 2- كتاب الوصية النافعة في كلمات جامعة: للإمام عبد الله بن حسين بن طاهر.
- 3- مواهب الديان: للشيخ سعيد بن محمد بن علي باعشن.
- 4- أدب الدنيا والدين: للإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي.
- 5- الحديقة الأنيقة: للعلامة محمد بن عمر بحرق.
- 6- مقال الناصحين: للعلامة محمد بن عمر باجمال.
- 7- بداية الهداية: للإمام الغزالي رحمه الله.
- 8- الأخلاق للبنين: للعلامة عمر بن أحمد بارجاء.
- 9- نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف: للإمام محمد بن عبد الرحمن الحبشي.
- 10- إعانة المبتدئين: للشيخ عبد الله بن عمر باجماح.

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد .....	1
السلوك الإيمانية .....	3
سلوك الناشئ مع الله .....	3
سلوك الناشئ مع النبي عليه الصلاة والسلام .....	9
واجب المكلف تجاه أهل البيت .....	16
سلوك الناشئ مع كتاب ربه .....	20
سلوك الناشئ مع الصحابة الكرام .....	23
سلوك الناشئ مع العلماء .....	27
سلوك الناشئ مع مشايخه ومعلميه .....	34
كلام الإمام الغزالي في آداب المتعلم مع مشايخه ....	36
سلوك الناشئ مع الأقارب .....	37
سلوكه مع والديه .....	37
ما يجب على الناشئ تجاه والديه بعد وفاتهما .....	39
سلوكه مع أخوانه وأخواته .....	39
سلوكه مع أرحامه .....	41
كلام الإمام الحداد في صلة الأرحام .....	43
سلوكه مع أخوانه المسلمين .....	45
كلام الإمام الغزالي في سلوك الناشئ مع إخوانه المسلمين.....	48
الصنف الأول: المجاهيل .....	48
الصنف الثاني: الأصدقاء .....	48
الخصال التي يجب مراعاتها في الأصحاب .....	49

أقسام	51	أقسام الأخوة
	51	الناس
	52	آداب الصحبة
	53	الصنف الثالث: المعارف
	58	سلوك الناشئ مع غير المسلمين
	59	سلوكه مع جوارحه وقلبه
	61	كلام الإمام الحداد في حفظ القلب والجوارح
	62	حفظ العين
	63	حفظ الأذن
	63	حفظ اللسان
	64	آفات اللسان
	68	حفظ البطن
	69	حفظ الفرج
	72	حفظ اليدين
	72	حفظ الرجلين
	73	آفات القلب
	74	الكبر
	76	الرياء
	78	الحسد
	79	سوء الظن
	80	سلوك الناشئ مع عمود الإسلام وهو الصلاة
	82	أسرار الصلاة
	85	آداب الصلاة

90	السلوك الاجتماعية
91	آداب المشي
95	آداب الجلوس
98	آداب المحادثة
100	آداب الأكل
102	آداب الأكل مع الاجتماع
105	آداب النوم
107	آداب القيام من النوم
110	آداب اللبس
112	آداب الزيارة والاستئذان
116	آداب زيارة المريض
118	آداب المريض
119	آداب زيارة التعزية
121	آداب المصاب
121	آداب زيارة التهنة
122	خاتمة
125	ذكر بعض المصادر
126	الفهرس